

المسعودي

الحمارُ الذي قرَّر أنْ يكونَ مؤذناً
حِكايةُ مطيع الغائِب
[حكاية شَرْقُ أوْسَطِيَّة]

المسعودي

2020

[**البداية**]



[من هنا بدأ كل شيء]

[1]

لكل كارثة بداية وسبب!

هذا ما يقوله لنا قانون السبب والنتيجة.

ولكن ليس من الضروري أنْ نبحث عن هذه البداية [**السبب**] في مكان قريب وزمن قريب من مسرح الكارثة. فهي في الكثير من الأحيان تستقر في زمن غابر ومكان أكثر غبرة وعتمة.

وإذا كان بمقدور رفرفة جناحي الفراشة في لحظة ما وفي نقطة جغرافية ما أنْ تسبب إعصاراً في مكان ما وزمن ما آخرين بعيدين، فإنه من المنطقي أنَّ حدثاً جللاً، مثل ظهور عقيدة شمولية متعصبة متطرفة كالعقيدة المحمدية، أنْ تكون سبباً في الماضي والحاضر لكوارث لا يمكن أنْ تقارن إلَّا بعشرات الأعاصير!

وأعاصير العقيدة المحمدية قد فاقت جميعها إعصار "كاترينا".

[2]

التاريخ بئر عميقة.

إنه بئر لا قرار لها.

وبداية هذا التاريخ في مكان ما من قعر البئر الذي ما عاد بإمكان أحد رؤيته والتأكد من وجوده. فهو هناك قابعاً في الروايات "**المتواترة**" التي لا دليل على صحتها ولا وثيقة تدعم مصداقيتها.

إن تاريخ العقيدة المحمدية هو من بين تواريخ جميع العقائد الدينية [بسبب حجم الأساطير الهائل] التي تفتقر افتقاراً شديداً للوثائق من أي نوع.

إنه تاريخ مصنوع من **الادعاءات والأوهام والأماني والأساطير** دُوِّن في مئات المجلدات وأُعيد تدوينه مئات المرات ولم يقرأه أحد منهم، إلا نادراً.

في هذا التاريخ المزيف تم تزييف البدايات وأُضفيت عليها هالات القدسية حتى تحولت إلى ما يشبه "**الحقيقة**" التي تمتلك "**مصداقية**" يمكن الشك بحقيقة دوران الأرض حول الشمس ولكن ليس بـ"**حقيقتها**"!

إنه "تاريخ" الشيوخ والكهنوت والرواة والأفاقين والكذابين وأدباء السلاطين.

إنه دخان أفيون[1].

[3]

وبداية كارثة مطيع الغائب [حمار القرية المسالم]، وجميع سكان قرية "**المجلجلة**"[2] تقبع هناك في قعر هذه البئر التي لا قرار لها. ولهذا فإنَّ أفضل معارفنا لها قيمة التكهنات؛ وأسوء أخطائنا محض افتراضات يمكن أن يغفر التاريخ لنا اقترافها. **فالتاريخ الذي لا دليل عليها لا يحتاج نقضه إلى دليل.**

إذن كارثة الحمار **مطيع الغائب** لم تبدأ منه، ولم تكن وليدة القرية التي لا وجود لها على الخارطة وقد لقى حتفه فيها [والتي سوف تختفي بقدرة قادر].

ومع ذلك فإن الجميع [**تقريباً الجميع**] ومن بينهم زوجته يحملونه تبعات ما وجد نفسه فيه من الكارثة التي يدعون بأنه قد أوقع نفسه في براثنها.

ولا تتعدى هذه الاتهامات غير تصورات **ضيقة لضيق** أفق مواطني مملكة الظلام وقُراها التي **ضاقت** فيها الحياة للمختلف عنهم والمخالف لتصوراتهم **الضيقة** حتى أصبحت الحياة **أضيق** من خرم الإبرة.

---

[1] للمعلومات: النسبة الكبرى من كميات الأفيون المستهلك في العالم هو صناعة إسلامية – وبشكل خاص أفغانية ومغربية.

[2] لا أحد يعرف بالضبط لماذا تحمل القرية اسم "المجلجلة". وكما اعتاد المفسرون المسلمون عندما يتعلق الأمر بمعاني أسماء الأشخاص والمواقع الجغرافية أن يهرع كل واحد منهم إلى أقرب ما يخطر على باله من معاني اللغة وقد اختلفوا كالعادة. فمنهم من يدعي أنها من [جلجل] وتعني صوت الرعد؛ ومنهم من يقول أنها من "الجَلاجِل" وهي الأجراس الصغيرة التي توضع في رقاب الماعز والأطفال والمضحكين؛ ومنهم من قسم اليمين بأنها من [الجَلَل] وهو الأمر العظيم.

ولكن مطيع الغائب يعتقد أنها من [الجِلال] وهو سرَجْ الحمار. فسبب عدد الحمير الهائل في القرية فإن المار في أزقة القرية سوف يرى أمام كل بيت "جلالاً". وهذا المعنى هو الأقرب إلى المنطق والدقة والوقائع. فهو العارف بأمور القرية والحمير والناس وتاريخهم.

"أمشِ الحيط الحيط وقُلْ يا ربي الستر"!

هذا هو شعار الأثير على قلوب الملايين:

من بائع السمك حتى "أستاذ!" الجامعة وإنَّ معاينة الوقائع من أيٍّ كان هي كفر وإلحاد.

[4]

إذن البدايات هناك في ذلك الجحيم الصحراوي[3] من عالم منسي مجهول صنعته الحكايات؛ صحراء ينهرس تحت لهيب شمسها الناس والحجارة والحيوان وخلايا الدماغ. ولهذا قرروا الهجرة أفواجاً محملين بالجوع والفاقة والعصبية والسيوف والرماح [ألَمْ يقل نبيهم بأن **رزقه تحت ظلال الرماح ؟!]**

إنه هناك في قعر بئر التاريخ المظلم ولا نرى الآن غير نتيجة –واحدة من ملايين النتائج العشوائية التي حُددت مسبقاً وقررت مصير الملايين: كارثة واحدة من سلسلة الكوارث التي بدأت ولن تنتهي.

[5]

ومع ذلك فإن الشخصيات والأحداث في هذه الحكاية **قد** تكون من وحي الخيال و**قد** لا يكون لها علاقة بالوضع في الشرق الأوسط إلا باعتباره مكاناً ملهماً لا نمتلك غيره مكاناً لتاريخ البدايات؛ وإنَّ أي شبهٍ مع شخصيات أو حيوانات وأحداث فعلية فإنه **قد** يكون محض صدفة!

فمن هو الأحمق الذي يعرف بثقة عالية بأنَّ ما حدث في هذه الحكاية لم يحدث قطُّ أو لن يحدث أبداً؟

ومن هو الأحمق الذي يجزم من غير تردد أو شكٍّ بأنَّ "**المجلجلة**" لا وجود لها إطلاقاً أو أنها كانت في يوم ما في مكان ما من الشرق الأوسط وقد كفت عن الوجود؟!

إنَّ حقيقة وجود "**المجلجلة**" ليس أقل احتمالاً من وجود "**مكة**" المحمدية. **فأثارها** الوحيد الباقية هي في الروايات المتواترة ولا شيء آخر.



[3] من المعاني الأصلية لكلمة [جحيم] هو المكان الشديد الحر.

[الفصل الأول]



[حمار يتأمل في معجزة الخلق]

[1]

قرر مُطِيعٌ الغائبُ [من قرية "**المجلجلة**"]، ولا أحدَ يعرف أية مقدمات لقراره هذا غير "رب العالمين" و"المالك يوم الدين" كما يقولون أنصار محمد ليل نهار وكأنَّهم تحت المراقبة [فهو „**الحكيم**“! و“**العليم**“! ما بالنفوس]، أن يكون **مؤذناً!**

ورغم أنه لا يخلو من التهور والتسرع وهما سمتان ليس من سماته فقد كان قراراً مفاجئاً بالنسبة للجميع:

لزوجته ولأصدقائه المقربين والبعيدين والقنفذ السريع والفأرة الفويسقة وعشيق زوجة مطيع الغائب [**حمار الجيران الوسيم**] وإمام الجامع والمختار والقصاب وزوجة المختار وشرطي القرية وكلاب الجيران التي تقعي دوماً وكأنها كفت عن الحركة، حتى أنَّ "Boby" - كلبَ الجيران الصغير الذي غالباً ما يلاطفه لم يخفِ دهشته من هذا القرار وأخذ ينبح من غير أسباب وجيهة [الأسباب الوجيهة قضية نسبية].

فناس القرية مندهشون لهذا التغير المفاجئ في **التوجه الفقهي والتفسيري** للحمار. فمطيع، وهو واحد منهم وهُمْ صورة طبق الأصل منه، ليس من أنواع البشر الميالة لاتخاذ القرارات. إذ أنَّ خبز كفاف يومهم هو "**إنْ شاء الله**"! وهذه الـ"إنشاء الله" تتعارض في الطول والعرض مع أي نوع من إمكانيات اتخاذ القرار.

[2]

وحتى يفهم القارئُ المحبُ للمعرفة [**وحب المعرفة ليس قضية سهلة بدون إرادة ومكابدة**] أسباب دهشة الجميع يجب أن يعرف، من غير لف أو دوران الخزعبلات الفقهية، بأنه ليس في الأمر "**بِدْعَةٌ**" أو عائق ما يمنعه من أن يكون مؤذناً.

فهناك الآلاف مثله يؤذنون ليل نهار في جميع أنحاء المعمورة [رغم أنَّ دار الإسلام خربة]. إنما المفاجئ في قرار الحمار هو أنه من نوع الحمير الهادئة التي لا تتَدَخَّلُ لا في شؤون "رب العالمين" ولا في شؤون الآخرين [فهو يؤمن عميقاً بأن الإنسان يولد حراً خلافاً لنبيه الذي جرده من جميع أنواع الاستقلالية]، بل هو حتى لا يختلط بالناس الغرباء ولا يقطع أرزاق المؤذنين ويعمل جاهداً وبكل ما بوسعه، ومنذ أن قرأ عن نفسه في "الكتاب الحكيم!" الذي يخلو من أية حكمة، اعتاد إلَّا يرفع صوته أعلى من أنفه بحجة أنَّ صوته "أنكر الأصوات"!

[3]

الحق أن موقف ربِّه منه لم يكن عادلاً، كالعادة، وما فعل **صاحبنا** ما يستحق كل هذا التهكم والاستهزاء والازدراء الرباني وليس من أي كان بل من "رب العالمين" بالذات صاحب **كل ما لذ وطاب** من الصفات التي تبدأ بـ"**الرحمن!**" وتنتهي بـ"**الصبور!**". وما بينهما "**الحليم!**" و"**العليم!**" و"**الحكيم!**" و"**العادل!**" لكنَّ الوقائع تقول بأنَّ "**ربَّهم**" لا يعرف الحكمة والعدل على حد سواء.

فقواعد "الحكمة" و"العدل" والحكم المتزن منذ القوانين الرومانية تستند أولاً إلى وصف الوقائع كما هي؛ وثانياً لا جرم بدون جريمة؛ وثالثاً لا يمكن معاقبة الناس والحمير [أو الحمير والناس لا فرق من هو الأول ومن هو الثاني ففي الكثير من الأحيان الأمر سواء] استناداً إلى التصورات والنوايا المسبقة. **فحكم الأعمال** ليس **بالنوايا** - فهذا سخف وإنما **بالأعمال والأعمال** فقط.

فالنوايا، وفي جميع قوانين البشر الطبيعيين، لا تخضع للتجريم ولا يمكن أن تكون مادة للعدالة والحق. إذ لا يمكن أثبات وجود النوايا مثلما لا يمكن أن تكون جرماً بسبب غياب الجريمة.

فالجرائم ليست افتراضات وإنما حقائق مادية موضوعية يمكن البرهنة على وقوعها. والنوايا جرائم لم تقع.

ولا لهذا لا يمكن إصدار الأحكام استناداً إلى فعل لم ينفذ.

[4]

فمنذ المادة الأولى يقرر جوستنيان في مدونته القانونية [القانون الروماني الأساس الذي صدر قبل وجود محمد المفترض بحوالي قرنين[4]] بأن "**العدل هو حمل النفس إيتاء كل ذي حق حقه والتزام ذلك على وجه الثبات والاستمرار**" وفيما بعد يقول "**لا عقاب بلا نص**" ويمكن القول الكثير، والكثير جداً.

فما هي جريمة **مطيع الغائب**؟

وما هو الحق الذي هضمه أو الحق الذي داسه؟

بل وما هو النص الذي يجرمه؟

[5]

فمطيع الغائب كان غائباً دائماً عن الاحتفالات الوطنية والقومية والدينية؛ وما كان عضواً في نادي أو جمعية أو حزب علني كان أم سري – فكما كان يقول أحد دكتاتوري مملكة الظلام الذين لا يُعد عددهم ولا يحصى بأنَّ "**مَنْ تحزب خان**"!

فما كان جمهورياً؛ وأقل ما يكون ملكياً – ولم يكن فوضوياً؛ ولم يكن ولن يكون ماركسياً على طريقة المسلمين المستترين . .

وما كان **صاحبنا** "الحمار" من الناس (أو من الكائنات) الذين يثقون بمخلوقات الله مطلقاً. ولهذا فهو لا يختلط بهم إلا إذا اختلطوا به؛ وهو بعيد عن الجميع إلا إذا قرر الجميع متناسين تجاربهم المُرَّة **واقتربوا** منه . فالناس جحيم والحشر معهم مأتم ،فهم جميعاً يهددون" قشَّ الشعير" الذي يعتاش عليه الرَّجُل. ولهذا فهو غالباً ما يردد أمام مسمع زوجته:

- " لا تثقي بمخلوقات الله. فهي حسودة لا تقنع إلا بخراب الآخرين".

- ولماذا يا عبقري؟

تسأل زوجته بتهكم.

- **لأن الله قد خلقهم على صورته!**

يرد مطيع ببساطة.

وكما ترون فإن قراره بأن يكون مؤذناً يتعارض مع الفلسفة الفقهية التي تنادي بالتقليل من الاحتكاك والتماس والاستئناس بمخلوقات الله – ناهيك عن تعارضه مع منطق الأشياء.

بل أنه، إذا شئتم، لا تعني رغبته في أن يكون مؤذناً غير شيء واحد لا غير:

---

[4] **صدرت مدونة جوستنيان في الثاني والعشرين من نوفمبر 533.**

أن يحفر قبره بيديه (أو **بحافريه** الأماميين، لا فرق!).

فالمحمديون يعتقدون إلى حد الإيمان التسليمي بالأقوال السخيفة التي تدعي الحكمة من قبيل "**لسانك حصانك**" و "**حفظ اللسان راحة الإنسان**" و"**إذا كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب**" وغيرها الكثير. وهي ثقافة لا تعلم الحكم وإنما تعلم الصمت والنفاق والخضوع وازدراء الحقيقة والتسليم بالأكاذيب. لكنهم لا يدركون مطلقاً أنَّ **الصمت** أمام الأكاذيب **لغوٌ** ما بعده **لغو** غير **لغو** الفقهاء والكهنوت.

ولهذا فإن **مطيع الغائب** قد "**حرَّك الماء الآسن**" وأطاح بصمت الجميع.

[6]

في البداية قررت زوجته إلا تتدخل و"**تزيد الطين بلة**" فربما هي مجرد نزوة، "**والنزوات تأتي وتروح!**" كما كانت تردد[5]: فلكل نزوة يومٌ أو يومانِ حتى تمرَّ وكأن شيئاً لم يحصل، **وصاحبنا**، وهي تعرفه جيداً، سيد النزوات — بل أنه النزوة بذاتها!

ولهذا قررت الانتظار والصبر "والله مع الصابرين"![6]

فحالما مرَّ اليوم الأول، انتظرت زوجته بفارغ الصبر اليوم الثاني حتى تمر نزوة زوجها "**الوحيد**" أمام الناس وتعود الحياة إلى مجاريها القديمة [**هكذا يقول المثل، وإلا فإن القرية لا تعرف المجاري وغالباً ما تختلط مياه الأمطار بالمياه الوسخة فرب العالمين قد تكفل بحفظهم من الميكروبات وكل ما لا تراه العين**].

لكنها استيقظت في فجر اليوم الثالث مفزوعة [ولم تكن وحدها فقد كان في فراشها **حمار الجيران الوسيم**] وكأن زلزالاً **بدرجة 8 على مقياس ريختر** قد ضرب قريتهم التي لا تعرف الزلازل الأرضية [أما الزلازل السماوية فهذا شيء آخر وهي يومية]. وحالما استيقظت وفركت عينيها ثم تلاشت تدريجياً مخاوف الزلزال أدركت، ويا ليتها لم تدركْ، بأن زوجها كان يؤذن أذان الفجر!

[7]

عندما عاد من الجامع وهو يكاد يطير بجناحين خفيين من نشوة الفرح والفخر الذي لا يخلو من الشعور بالانتصار كانت زوجته في انتظاره وهي تحمل بيدها المكنسة القديمة:

- هل أنت مجنون يا . . . ؟[7]

- وهل ستكونين سعيدة إنْ كنتُ عاقلاً؟!

أجاب صاحبنا كالعادة بتواضع شديد!

---

[5] **كانت زوجة الحمار تعتقد بأنها أجمل الأُتُن [جمع أتان] وتعتبر نفسها عبقرية.**

[6] **بسبب صبرها المبالغ فيه سمَّت ابنها ""صابراً" وعندما شبَّ ورأى صبر الآخرين بعينيه انتحر برمي نفسه من أعلى المنارة الأولى التي تهاوت قبل بناء المنارة الثانية والتي تهاوت بدورها أيضاً. ويدعي المختار، باعتباره حافظ الأسرار، أن ابن الحمارِ صابراً فد انتحر لأسباب عاطفية!**

[7] **ملاحظة هامة: لا أعرف بالضبط الكلمة التي تفوهت الزوجة بها، هل هي "يا رجل" أمْ "يا حمار"؟!**

- سوف يشنقوك من غير ذنب يا حمار ؟

قالت الأتان وهي تلوّح بعصا المكنسة والشرار يتطاير من عينيها.

- **وهل تريدين أن أُشْنَقَ مذنباً ؟**[8]

أجابها مطيع باستغراب شديد.

- وهل تعتقد بأنَّ شنقك يحتاج إلى ذنب ؟

تساءلت زوجته وكعادتها بتهكم. ثم رمت عصا المكنسة باتجاه مطيع الذي لم يتحرك من مكانه قطُّ. والحظ فقط تكفل بأن لا تقع فوق رأسه كما سوف تسقط عشرات المصائب على رأسه ورأس القرية على حد سواء.

كان ذلك اليوم [الثامن والعشرون من شهر آب عام 2009] يوماً تاريخياً لن يسنح للقرية الاحتفال به أبداً فهي والحمار سيكونان في خبر كان . . .

[8]

كان صوته الجهوري المدوي قد انتشر كصفارات الإنذار قبل القصف الجوي أو في صباح **الانقلابات**[9] والمؤامرات العربية الإسلامية التي تعلن منع التجول، في كل الجهات، متغلغلاً في جميع الأنحاء؛ لا جدران تصده ولا مسافات تقف حائلاً في طريقه ولا جوامع تعيق انتقاله في الفضاء.

بل أن صوت الأذان [وبدون أية تقنيات معاصرة من دول الغرب الحاقدة على الإسلام] قد وصل إلى آخر حدود القرية التي يعيش فيها متجاوزاً غابة قناة المجاري الوسخة التي تفصلهم عن القرى الأخرى، حتى قِيل، والعهدة على القائل وفي القول "تواتر"، بأن أذانه قد وصل إلى الأحياء البعيدة وتلك القريبة من مركز المدينة.

كما وقد توالت أخبار الفضائيات تصل تباعاً وهي تُفيد بأن الأذان قد انتشر في كامل النصف الآخر من المدينة. وهناك من يقسم بربه "العلي القدير!" بأنَّه قد وصل إلى المدن الأخرى. وهذا ما دعا مدير شرطة العاصمة [الذي لم يحرك ساكناً أمام موجات الجريمة وتجارة المخدرات وعمليات الاغتصاب اليومية] إلى إرسال دوريات مدججة بالسلاح إلى جميع الاتجاهات للتحقق من القضية.

- "فالتحقق مطلوب في مثل هذه الحالات"!

قال مدير شرطة العاصمة الذي لم يلد ولم يولد ولم يعش ولا يوماً واحداً في العاصمة قبل أن يسلمه رئيس الجمهورية، وهو من أقاربه المقربين، مقاليد إدارة العاصمة. حتى أن زوجته وعندما سمعت خبر التعيين سألته مستغربة:

---

[8] الحق أنَّ هذه العبارة لسقراط.

[9] اعتادت الكثير من الإذاعات العربية في فجر الانقلابات والانقلابات المضادة أن تبث النشيد الكابوسي "الله أكبر فوق المعتدي". والمعتدي عادة هو الزمرة "أو الحكومة" التي تم الانقلاب ضدها. وعندما تعود هذه الزمرة من أشهر بانقلاب مضاد فإن هذه الإذاعات تبدأ عادة فجر يوم الانقلاب بذات النشيد الكابوسي وهَلُّمَ جَرًّا وهكذا دواليك وإلى آخره . . .

- كيف تعين هذا الحمار مديراً للشرطة ؟!
فأجاب رئيس الجمهورية[10] **شخصياً وبلسانه** وبكل ثقة:
- **الرجل المناسب في المكان المناسب!**

[9]

إلا أن تأثير أذان "**صاحبنا**"، سواء صدقتم أم لا [المسلمون وحدهم لا يصدقون إلا كلام عجائز الجوامع الريفية وملالي الحسينيات الشيعية]، قد تخطى الحدود والقارات، بل تخطى مدار الأرض متخطياً الفضاء واصلاً إلى المدار القمري.

وهذا ما دعا أحد العلماء المسلمين "الملتزمين بالله واليوم الآخر" إلى طرح فرضية في غاية الأهمية والخطورة، رغم غرابتها **بعض الشيء**، ومفادها، وانتبهوا لكلام العالم جيداً، أن ثمة علاقة ما بين أذان "**صاحبنا**" وعطل مركبة الفضاء الهندية تشاندريان-1 بعد ساعات معدودة من الأذان وبعد سنة واحدة فقط من إطلاقها عام 2008!

لقد ظلت فكرة هذا التصريح غامضة للغاية، حتى أن رئيس الجمهورية أمر بعدم مناقشة هذا الموضوع في الصحف وطلب من هيئة الإفتاء موقفهم في الموضوع وما إذا كان الأذان شرعياً. لأن أوقات الأذان ترتبط بطلوع الشمس، وماذا عن سكان القمر مثلاً، فيما إذا كان هناك سكان أم أقوام من قبيل يأجوج ومأجوج الواردة في "الكتاب" وهذا أمر علمي لا نقاش فيه أو حوله!

[10]

أما ما يتعلق بقرية الحمار نفسه فقد تعقدت الأمور فيها واختلط الحابل بالنابل مما دعا الأمر إلى عقد اجتماع طارئ [إمام جامع القرية سماه "اجتماع فوق العادة" [أما معزة المختار فسمته "اجتماع الحسم"] لأئمة جوامع القرى القريبة والأتقياء من سكانها.

وقد دُعيَ من القرية القصاب و مخبر الشرطة ومعزة المختار ذات العقل النير والقنفذ السريع وحفار القبور وغيرهم من وجهاء القرية للبحث في الأمور المستجدة.

وإذا ما كان تعبير" **الأمور المستجدة**" في صيغة الأمر فإن الأمر يتعلق بالعادات اللغوية. فتكاد جميع اجتماعات الحكومات العربية الطارئة تعقد دائماً تحت تبرير "مناقشة **الأمور المستجدة**".

أما في الواقع فإنها تعقد لمناقشة أمر واحد لا غير: الإطاحة بقائد الجيش مثلاً، أو إقالة وزير الداخلية، أو تغيير رئيس المخابرات، وعادة ما يكون بتهمة الخيانة للوطن أو التآمر على مقدرات الشعب!

---

[10] صاحبنا "رئيس الجمهورية" كان رئيس عرفاء في الجيش. وبعد الانقلاب الذي من خلاله إلى الحكم "بصورة ديموقراطية" ترقى إلى رتبة مشير وهي أعلى رتبة عسكرية في الجيوش العربية!
بل هناك من "رؤساء" الجمهورية الذين حصلوا على أعلى رتبة عسكرية وعشرات ميداليات الاستحقاق والتقدير العسكرية وهو لم يخدم ولا يوماً واحداً في الجيش.

أمَّا "التفصيلات" الكثيرة التي ترد في هذه الاجتماعات فهي ذات طابع ثانوي تماماً.

[11]

لم تكن المشكلة هي صوت مطيع المدوي الذي كان يحيل الصمت إلى قطع متناثرة كنثار الزجاج. بل أن هذه المشكلة، وهذا ما قاله لي مَن أثق به، هي من أتفه المشاكل!

فالحمار [الذي لا يلد] وَلَّد عدداً لا يحصى من المشاكل الفقهية؛ وقد أخذت المشاكل تلد كالأرانب!

فحالما يتم حل مشكلة تولد مشكلة أخرى تنتظر الحل، وأول هذه المشاكل كانت ذات طابع نقابي!

- أجل، لا يوجد أي خطأ مطبعي أو أملائي - بالضبط: ذات طابع نقابي.

فبسبب كون صوته يصل إلى كل القرى والأحياء السكنية نافذاً في أعماق مركز المدينة فإن هذا من شأنه أن يجعل الكثير من المؤذنين زائدين عن الحاجة وسوف يفقدون ما يعتاشون عليه من مرتبات تمنح لهم من وزارة الأوقاف [ومرتبات وزارة الأوقاف دسمة أكثر من لحم الخنزير]. فطالما يوجد مؤذن واحد يسدُّ مسدهم فإن وجودهم [اللاضروري **بالقوة**] ما عاد له أية ضرورة **بالفعل**!

[12]

أما هو [أقصد **صاحبنا مطيع**] فلا يطالب بأكثر من كيس واحد أو في أكثر الاحتمالات كيسين من العلف وهذا من شأنه أن يدفع أئمة الجوامع إلى الاستغناء عن خدمات المؤذنين الجليلة[11]. كما لم يعد للجوامع حاجة إلى مكبرات الصوت ولا مكان مرتفع للأذان [ليس من النادر أن يسقط هذا المؤذن أو ذاك كاسراً رقبته أو أطرافه أو يذهب إلى رحمة الله من غير عودة —وهي رحمة مشكوك فيها أو كما يحلو للحمار القول: "الرحمة في ظروف الزحمة وخمة"].

- لا يوجد أرخص من هذا المؤذن!

عَلَّق غير واحد من أئمة جوامع القرى القريبة.

- وماذا سنقول لنقابة المؤذنين؟

سأل أحدهم.

- وهل ستخالف النقابة، يا جماعة الخير، إرادة الله؟!

قال آخر ثم أضاف:

- الله لا يحب التبذير، وتلى عن ظهر قلب:" إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِۖوَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا"! ثم يا جماعة أليس الأمر شورى بيننا؟

قالها من غير أن ينتبه إطلاقاً بأنه ومن غير أن يدرك قد توصل إلى تأسيس فقهي نقلي وعقلي لا يخلو من القياس المنطقي المحكم لكي يتسلم حمارنا مهمة الأذان في جميع أنحاء المدينة وينتهي الموضوع.

---

[11] **لابد وأنَّ القارئ النبيه سوف يدرك مباشرة بأنَّ المشكلة تتعلق بالمؤذنين السنة فقط. أما الشيعة فلا يعتدون بأذان المؤذنين السنة ولا يشترونه بقرش واحد. فبدون ذكر اسم أبي تراب في الأذان فإنه باطل وناقص الأركان.**

- ماذا كنا لنفعل بدون الفقه!

قال معمم كان قد قرر أن "يسبحل" مائة مرة ومرة وقطع التسبيح في المرة الخمسين، لكنه نسي فيما إذا كانت هي المرة الخمسين أم الواحدة والخمسين!

- استغفر الله!

ردد المعمم من غير أن يعرف الآخرون السبب ثم واصل:

- " إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ " ... إي والله!

- صدق الله العظيم!

قالوا بصوت واحد وأجمعوا، وهذا من حسنات الإجماع، على أن في الكتاب دليلاً، وفي السماء رمزاً جميلاً ولا دليل أكبر من أدلة الكتاب ولا أصدق وأجمل من إشارات ورموز السماء، على منح الحمار وظيفة مؤذن درجة أولى وكأن القضية قد أغلقت.

[13]

ولكن (وأعوذ بالله من شرِّ لكنْ): القضية لم تغلق!

فالاجتماع لم يُغلق بعد:

- يا جماعة لقد حصل الإجماع على دليل التوظيف، ولكننا لم نتطرق إلى قيمة المرتب!

وها هي الفرحة لم تدم إلا ثوان. فقد ظهر أن المشاكل الفقهية ستظهر تباعاً:

أولاً، وقبل كل شيء، من أين لهم بدليل فقهي على مقدار مرتب الحمار؟

ثانياً، هل سيأخذ مبلغاً مقطوعاً أم نسبة من واردات الجوامع أم مرتب وزارة الأوقاف فقط؟

ثالثاً، هل ستكون له حصة تقديرية من وارد جميع الجوامع أم من جامع واحد؟

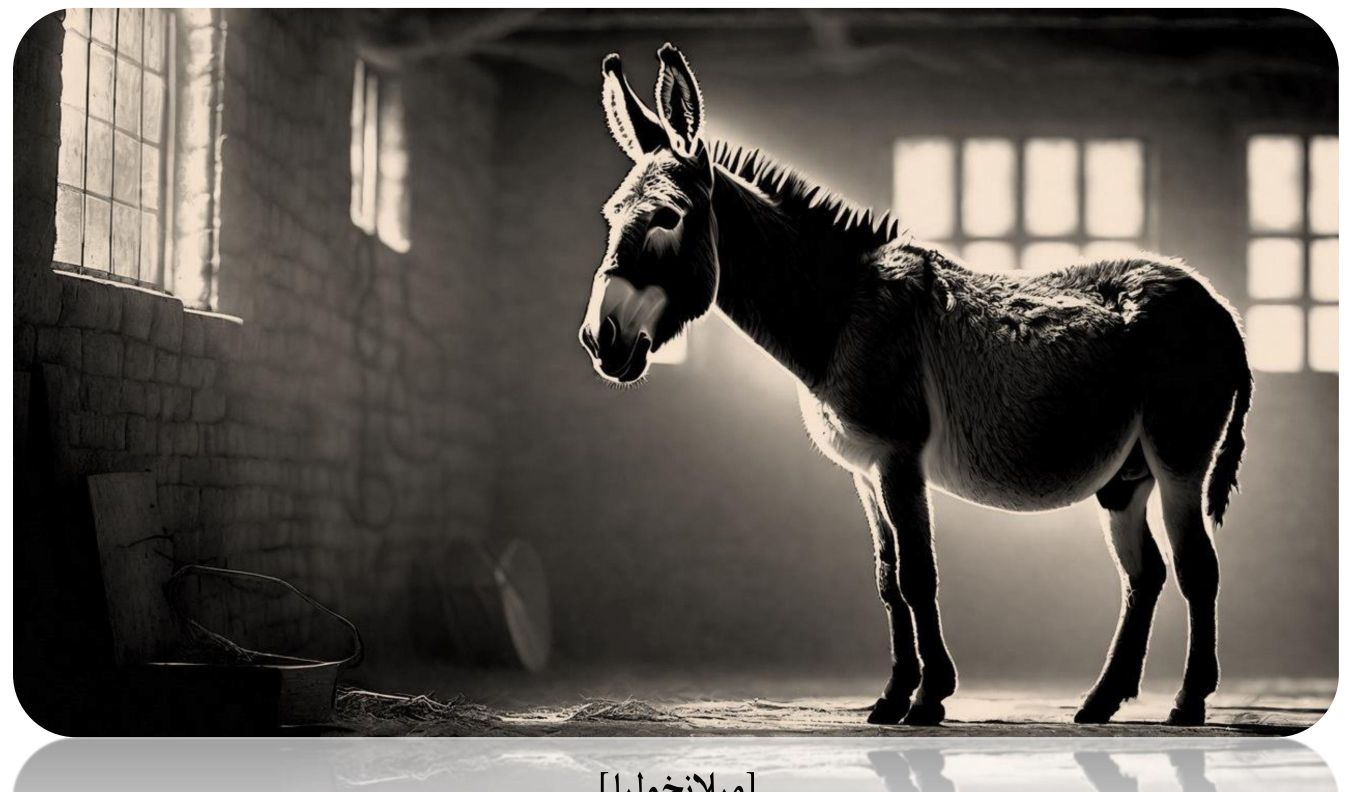
رابعاً، وإذا كانت من وارد جامع واحد، فمن أيِّ جامع؟

خامساً، كيف يتم الدفع: نقداً مثلاً أو عن طريق البنك أم بصورة عينية على شكل علف ومعجون أسنان وجوارب شتائية؟

وغيرها من المسائل الشرعية التي لم ينتبه إليها أحد وليس لها مثيل لا في الكتاب ولا في السنة ولا في " موسوعة الشيخ البصير لفتاوى السنة لكل أمر صغير أو كبير"!



[الفصل الثاني]



[ميلانخوليا]

[1]

أحدثت قصة الحمار ضَجَّة كُبرى ما بعدها ضجة وفَرَّقَتِ الصُّفوف ومزقت الدفوف وتعالت أصوات تطبيق حكم الردة وحكم "رب العالمين" الرؤوف وكادت تقطع الحبلَ الذي كانت تعتصمُ به الأمة!

فقد دبَّت الخلافات الفقهية [واختلاف الأمة رحمة، على أية حال] ما بين الطوائف والفرق والملل والشلل والمذاهب الفقهية مثلما دب الخلاف ما بين **المبشرين بالجنة على اليوتيوب** من أنصاف المتعلمين أو خريجي الأزهر والزيتونة والحوزات "العلمية!" حتى وصلت الأمور، كالعادة، إلى حد تكفير بعضهم البعض الآخر وكل طرف كان يعتبر الآخر زنديقاً مارقاً لا دين له وهو من الملحدين.

فمنهم من كان يرى أن في هذا الأمر من "أشراط الساعة" وأن اليوم لقريب!

ومنهم من كان يعتقد بأنَّ هذا أعمال التخريب التي تقوم بها الإمبريالية والصهيونية والاستعمار والصليبيين والملحدين وأعضاء منظمات حقوق الإنسان المارقين!

ومع اتفاقهم على الأصول فقد افترقوا على الفروع حتى **كادَ**[12] يقتل بعضهم البعض!
كما اختلفوا، كالعادة، على تفسير قضية "**ظهور الدابة التي تُكَلِّمُ الناسَ**"، أهي **مطيع** الذي صار مؤذناً أم دابة أخرى؟!
وهل، يا تُرى، ثمة دابة على الأرض غير **الحمار** تقرأ القريان وتؤدي الأذان؟!

[2]

لكن مجاهدي الانترنت لهما وجهة نظر أخرى [تصوروا!]. فإن الكثير منهم لم يرَ في الأمر إلا انتصاراً للإسلام على الملحدين [لم يفهم أحد من متابعي اليوتيوب ما علاقة الملحدين بهذا الأمر! لكنهم قرروا عدم الخوض في مثل هذا النوع من النقاشات الجانبية]. فهي معجزة كانوا ينتظروها بفارغ الصبر. فهم متدينون واقعيون:

- فهذه هي المعجزة الوحيدة في التاريخ المكتوب التي شهدها الناس بعيونهم وسمعوها بأذانهم.

أما البعض الثالث فقد كانوا حائرين في أمرهم أكبر حيرة:
إذ كانوا يتساءلون فيما إذا ما قام به **الحمار** يخالف أحكام الدين أم لا؟
وإذا ما كان يخالف أحكام الدين فما هي **عقوبته**؟
وهل تنطبق "**الحدود**" على الحمير؟
وإذا كانت تنطبق فما هو الحد الملائم: الرجم أم الجلد أم أن الأمر يدخل في باب "التعزيز" وغيرها من الأسئلة ذات الطابع الفقهي "الدقيق" و"العلمي" الرصين التي تنتظر التوضيح والتشريح حتى يتم درء البلية وحل القضية وكل ما هو قبيح وكفى الله شر القتال[13]!

[3]

في إحدى الليالي ظهر **كبير المبشرين بالجنة** على اليوتيوب **الشيخ محمد إدريس سيف الإسلام ديوبندي القريشي** غاضباً مزبداً لاعناً الروس واليابانيين وأمريكا وإسرائيل والإمبريالية وجمعية الرفق بالحيوان الصومالية، طبعاً والكيان الصهيوني، والاتحاد السوفياتي والاتحاد الأوربي وكندا وجميع الملحدين على ما يقومون به من محاولات شق الصفوف وتلطيخ الكفوف (الكلمة الأخيرة لأغراض السجع كما فعل نبيهم!) ولم ينس أن يعرج في طريق الشتائم والسباب على محطة CNN وإذاعة صوت أوربا الحرة والـ BBC وDW ومقهى الشباب الرياضي في مركز المدينة حيث تشك مديرية أمن الدولة بأن صاحبها صوفي متطرف!

---

[12] **قد تكون كلمة "كاد" زائدة عن الحاجة. فهي على أية حال "فعل ناقص" وإذ لا يعرف أحد لماذا "نقص" فإنه وجوده قد يعيق الحروب المشتعلة فعلاً ما بين المبشرين بالجنة على اليوتيوب ولن تمنعهم "كاد" من الاقتتال وحمام الدم الذي يسيل هنا وهناك في مملكة الظلام.**

[13] **ولأنهم عميان بالفطرة فهم لا يرون أن القتال قائم وحمامات الدم تغسل مدنهم بصورة علنية تتناقلها جميع وكالات الأنباء، أم سراً وتتناقلها وسائل الإعلام الأجنبية فقط!**

وعندما علَّقَ أحد المتابعين بأن الاتحاد السوفياتي قد انحل منذ سنوات طويلة جداً جداً، واصل الشيخ ديوبندي القريشي قائلاً:

- " **ألا ترى، هذا هو جزاء الملحدين. فالله يمهل ولا يهمل، هذا ما حذرنا منه دائماً!**".

ثم واصل بثقة عالية:

- "**إيها الأخوة في هذه الظروف الحرجة التي تمر بها الأمة علينا أن نكون يداً واحدة وصوتاً واحداً، فقد قال العلي القدير في كتابه العزيز: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ على شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ". إن ما يحدث لهو هجمة شرسة على الدين والعقيدة وينبغي أن نسد أبواب الفتنة بالصمت. الصمت، الصمت، عليكم بالصمت. فالصمت امتحان كامتحان الإيمان**"[14]

[فيما بعد انتشرت عبارة "**الصمت من الإيمان**" في أنحاء شبكة الإنترنت واليوتيوب وتحولت إلى معيار للولاء والتقوى للرب الذي لا رب غيره. لكنها وكالعادة أحدثت نقاشات طويلة فيما إذا كان هذا الكلام من الأحاديث "الصحيحة" أم لا، وفيما إذا كان **متواتراً** أم لا!].

ثم عقب كبير المبشرين بالجنة على اليوتيوب على قضية "أشراط الساعة" محذراً مما سماه " اللعب بالكلمات واختلاق التفسيرات وافتعال التأويلات" وفصَّل في الموضوع تفصيلاً لا يليق إلا به ولا يتصف به أحد غيره، فهو للعلم، والحق يُقالُ، ينبوع الفكر السيَّال، قائلاً:

- "**أشراط الساعة يا أخوة قضية علمية دقيقة ويجب الانتباه لما نقول. إن النصارى واليهود والملحدين يتربصون بنا ويبذلون كل غال ونفيس لتشويه رسالتنا السمحاء.**

أما "أشراط الساعة" فهي من غير زيادة أو نقصان ومن الله الحكمة والغفران وكما هي في أمهات الكتب المعتبرة من قديم الزمان وأقوال الأئمة الخيرين لهم الغفران: ظهور دابة تكَلِّمُ الناس والدخان وظهور الدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وظهور يأجوج وخسف بال. . " وقبل أن يكمل الشيخ ديوبندي القريشي كلامه انقطع الإنترنت واختفى من على اليوتيوب فانتاب متابعيه الخوف والفزع من اقتراب الساعة وكادوا يودعون عوائلهم ويذبحون أبناءهم فداء لصاحب الزمان قبل الأوان لولا انتباههم إلى أن المشكلة، كالعادة ومنذ عشرات السنين، هي في انقطاع التيار الكهربائي، فاطمأنت قلوبهم وزاد إيمانهم **أيماناً فوق إيمان** بأن لهم رباً يرعاهم ويحفظهم!

---

[14] **منذ أن وعيت على اللغة فإن جميع الخطباء [رؤساء الجمهورية والملوك والسلاطين وشيوخ الجوامع وفي الإذاعة والتلفزيون وفي الثلاجات والمبردات وأصحاب المقالات الرنانة وتصريحات هيئات الإفتاء وبائعي الخردة وغيرهم الكثير] يتحدثون عن الظروف الحرجة التي تمر بها الأمة!**

أما الآخرون [الكفار والملحدون والزنادقة] فيبنون بلدانهم ويبحثون عن الحلول العملية والتقنية والتشريعية للتغلب على "الظروف الحرجة". كما أنهم لا يجدون في "الظروف الحرجة" أي نوع من "الهجمات الشرسة" على الدين والعقيدة بل "إمكانية" للتغلب والتطور.

[4]

أما الملحدون (وما أدراك ما الملحدون لعنهم الله) فقد كانوا يراقبون المشهد عن "**كثب**" وابتسامة "**خبيثة**" ترتسم على شفاههم وكأنهم كانوا يشاهدون مسرحية ساخرة!

الحق أنَّ مثل هذه الفضائح هي جزء من التاريخ الإسلامي الفعلي وقد اعتاد الملحدون التفرج عليها. فهي لا تختلف من حيث المبدأ عن قصص عشرات "المهدي المنتظر" الذين ينبثقون كالكمأ في كل مكان من "دار الإسلام" من المحيط إلى الجحيم.

فأزمة الإسلام ليس حدثاً عابراً بل حالة مرضية مزمنة. فإذا ما رفضت حتى الحمير أوهام الدين، فإن هناك الكثير من البشر الذين لم يودعوا عقولهم في مملكة الظلام تهفو نفوسهم إلى الانعتاق وانهاء الاستعباد المحمدي.

وهذا ما سوف يحدث — عاجلاً أم آجلاً . . .

باختصار: لقد اكتفى الملحدون بالترقب والانتظار!

ففضائح العقيدة المحمدية لا تحتاج إلى أعداء لأن المسلمين أنفسهم قد تكفلوا [مشكورين] في الكشف عنها والإعلان عن مكانها — بل هناك من يخبرك عن رقم الفضيحة ورقم الصفحة من الكتاب الفلاني الذي كتبه المغفور له منذ أكثر من 13 قرناً!

[5]

كما "تنبأت" زوجة **صاحبنا العبقرية**، في فجر ذلك اليوم الذي زلزل الحمار بأذانه الأرض والسماء حتى سبب ارتطام المركبة الهندية تشاندريان-1 بسطح القمر، بأن لا خير ينتظرهم. فأي خير يمكن أن ينتظر حماراً قرر أن يصبح مؤذناً ضارباً بعرض الحائط وطوله وعمقه كل المحظورات؟

الحق أنه "**لم يفعل شيئاً غير أن أخرج الزنابير من أكوارها**" كما تقول.

- "**لقد خضَّ الكلبُ ابن الكلبِ (تقصد حمارها) الدنيا، فقامت ولم تقعد**".

هكذا كانت تولول مع نفسها.

كانت حائرة بإعالة الصغار وحماية الكبار من أطفالها ولهذا فقد استندت إلى **حمار الجيران الوسيم**.

أما **صاحبنا** (مطيع) فقد اعتكف في معلفه لا يكلم أحداً ولا أحد يكلمه. وظل "معتصماً "بزريبته البسيطة المتواضعة بحبل خفي من الإيمان وهو يتأمل حزمة الضياء المتسلل من فتحة في سقف المعلف المتهاوي.

كان يبدو هادئاً وخاشعاً يردد عبارات سرية [أو باطنية] بصوت غير مسموع وكأنَّه يجري حواراً صامتاً مع كائنات غير مرئية.

وبين فترة وأخرى كان يهزُّ رأسه علامة الموافقة والرضى.

يبدو غريباً بعض الشيء. إذ لم يكن معنياً بأي حال من الأحوال بالضجة التي أحدثها والتي لا تزال أصدائها تهز أركان الأمة!

هو خارج المكان والزمان يُحَلِّق في الأعالي تحمله أجنحة من غيوم السماء وكأنه في عالم الأمان من غير أحزان ولا هوان.

كان هو "هو"، لكنه وفي نفس الوقت لم يكن؛

كان كائناً آخر تماماً. لم يكن قد ذاق طعم المشاعر التي يمر بها الآن من قبل.

إنه قد تحدى!

ف"المصحف" قد أخطأ في حقه وهو يعترض لا على "المصحف" فقط، بل وعلى كاتبه!

إنَّه يرفض!

[6]

لم يكن "**صاحبنا**" من المتمردين دائماً.

فقبل أن يقرر إعلان ساعة التحدي [أو ساعة الصفر وهي ساعة الهجوم على رب العالمين]، كان يخضع لـ"قانون الحَمْرَنَة"[15] حتى كان يبدو وكأن التيار يحمله.

أما الآن فهو يحمل التيار على ظهره ويعكر مياه الجميع من غير أن ترمش له عين!

ف" **قانون الحمرنة**" ينص على أن "**يمشي الحيط الحيط ويقول يا ربي السترَ**". لكنه الآن يقض مضاجع الشياطين وأساطين اليوتيوب وشيوخ الرؤساء والسلاطين على حد سواء ويوقظها من نومهم!

حَرَّضَ الجميع ضده:

الدولة [أو ما تبقى منها] والشيوخ واليوتيوب والثلاجات وزوجته وكلاب الشوارع وقطط الجيران وبائع اللبن وحارس البستان وكتاب تعلم السنسكريتية في أسبوع ورئيس الجمهورية وكاتب العرائض و"صحيح البخاري" والذُبَّان، ومنظمة الوحدة الإسلامية، والفريق القومي لكرة القدم، وبائع الكشري، ووزراء التخطيط والأوقاف والإصلاح الزراعي، ومصلحة الضرائب والسلطة القضائية [المستقلة!!!] والقائمة لها بداية من غير نهاية ... حرَّض الجميع، تماماً الجميع، ولم يقف في صفه إلا هذا وذاك من المدافعين عن حقوق الحيوان الذين خالفوا منظمتهم السرية!

---

[15] **ليس قانون الحمرنة [الصمت يجنبك المصائب] خاصاً بالحمير وإنما هو قانون جميع المتوكلين والمتكاسلين والمؤمنين التسليميين بشراً وحميراً.**

الحمرنة هي "الصبر على الشدائد" بدلاً من العمل على التغلب عليها؛

الحمرنة هو رفض التطور والجلوس تحت ظلال الحيطان بانتظار الفرج من رب العالمين؛

الحمرنة هو القانون الذي يخضع له منطق التخلف والسعي إلى إعادة الماضي ومعادة المستقبل.

الحمرنة هو الوقوف في منتصف الطريق بدلاً من عبوره!

إلا أن هذا لم يحزنه. فهو يعرف جيداً قانون نيوتن "**لكل فعل رد فعل يساويه في المقدار ويعاكسه في الاتجاه**". فهو والحق حمار وهذا واقع لا يمكن صَدَّه أو إنكاره، وإذا تجاهل هذه الحقيقة فهو حمار ابن حمار!

فمشكلته الوحيد هو ادعاء رب محمد ب، له **أنكر الأصوات!**

[7]

ولكن أكثر ما كان يحزنه، إذا صح التعبير بأنه حزين، هو موقف زوجته - **الأتان السليطة اللسان**. فهي ما انفكت تؤنبه على جرائم لم يرتكبها وذنوب لم يقترفها.

فأين الوعد الذي قطعاه على نفسيهما بأن يكونا معاً حتى يفرقهما الموت ؟

فهل حلَّ موعده يا ترى ؟

هل آن أوان الرحيل عن هذه الأرض وحيداً كما جاء، وفقيراً كما عاش، وحكيماً كما لم يكن في يوم ما ؟

- "**ربي هل أنت هناك، حيث تستوي على العرش [وقد بانت خصيتاك كما يقول أحد الملحدين] وحيداً مثلي ؟!**

أتسمع صوتي الذي صنعته بيديك ثم تنكرت له وتندرت عليه ؟

أتسمعني أنا الذي صنعته ثم ازدريته ؟

هل أنت موجود كما يدعي الجميع ويلهثون باسمك كأنك الهواء ؟

لماذا ورطتني بما لم أقوَ عليه ولماذا دفعتني إلى ما أنا عاجز على القيام به ؟

هل هذا امتحان أم بيان على قدرتك وجبروتك ؟

ها أنا بأمس الحاجة إلى آية من آياتك حتى أقوى على مواجهة الموت آمناً مطمئناً. اجعلني أبصر ما لا يبصره الآخرون واكشف أمامي ما لا يدركه الناس أجمعين ...".

ظل هكذا يسائل ربه والدموع تنهمر من عينيه حتى حل ظلام دامس ولم يعد يبصر إلا شيئاً واحداً لا غير:

إنه في قعر هاوية سحيقة صنعها بنفسه وباركه ربه على حفرها!

أما "ربه" [رب العالمين المفترض] فقد كان منشغلاً بقضايا أكثر أهمية وجدية من قبيل حيض النساء والنجاسة وصلاة السهو وفقه النكاح وعدد النساء والأيامي وغيرها من الاهتمامات التي كلف بها خاتم أنبياءه!

[8]

في اليوم التالي استيقظ متأخراً جداً وقد فاته أذان الفجر.

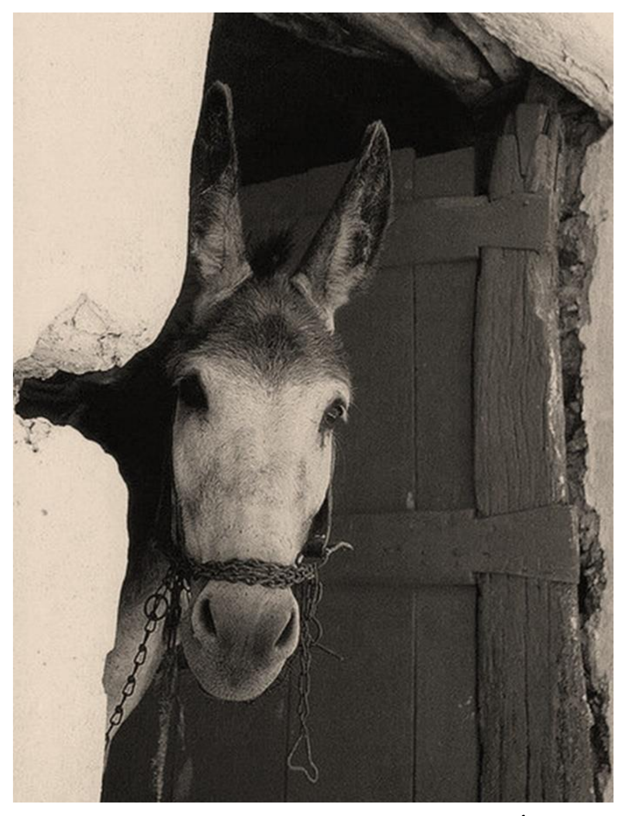
نهض من فراش التبن ببطيء ثم توجه على مهله نحو باحة البيت.

لم يكن هناك أحد..

كان البيت خالياً تماماً:

لا حميره الصغار ولا أتانه سليطة اللسان.

فتوجه إلى مدخل البيت وفتح الباب بحذر ووجل ثم مد رأسه قليلا إلى الخارج فلم يبصر أحداً في الطريق: لا أنساً ولا جناً. بل لم يبصر حتى الكلاب التي اعتادت الجلوس عند عتبات البيوت ولا القطط التي كانت تجلس على مسافة "عقلانية" من الكلاب مستعدة للنجاة بنفسها إذا ما خطرت على كلب من الكلاب أفكاراً سيئة لا تحمد عقباها!



[9]

لم يكن يعرف ما الذي حدث في العالم الخارجي فبيته كان يفتقر إلى وسائل الاتصال دائماً: لا إنترنت ولا تلفون ولا تلفزيون. بل حتى الراديو كان معدوماً في بيته. الحق أنه كان يستمع إلى الراديو بين حين وآخر، والفضل يعود لجاره الكهل الذي ضعف بصره وقلَّ سمعه. فكان يرفع صوت الراديو إلى آخره حتى كان الصوت يصل إلى آخر بيت من بيوت القرية. لكن ما كان يزعج الحمار هو ولع الكهل بموسيقى "**الراب**". ولهذا فقد كانت يستمع ليل نهار إلى إحدى محطات "الراب" التي كان لا يطيقها. ومع ذلك فقد كان يرى بأن هذا شيء أفضل من لا شيء.

وهكذا كان **صاحبنا** يستمع إلى **موسيقى الراب** رغماً عن أنفه، كما تستمع جميع المدن الأذان رغماً عن أنوف سكانها، حتى نفق جاره الكهل ولم يعد يستمع إلا شخير زوجته المتعالي من غرفة النوم في الطرف الآخر من البيت وهي في أحضان **حمار الجيران الوسيم!**

قرر الانسحاب إلى معلفه مسترشداً بحكمة قديمة:

إذا كنت لا تعرف ما هي الخطوة التالية فمن الأفضل أن تبقى في مكانك.

ولهذا عاد إلى مكانه، أقصد: معلفه وعرشه الذي يستوي عليه من غير ملائكة تحف به، مستمتعاً بنعمة التأمل في تاريخ الزمان وأحوال الحمير والإنسان!

ثم فجأة مرَّ في رأسه سؤال كصاروخ كروز:

- هل أخطأتُ ؟



[الفصل الثالث]



[كابوس]

[1]

وبينما كان حمارنا مستمتعاً بنعمة التأمل في تاريخ الزمان وأحوال الحمير والإنسان فإن الدنيا قد انقلبت على رأسه من غير حتى أن يشعر وهو في أفكاره غرقان معتقداً في بعض الأحيان بأنه حصان!

فحينما لم يأوِ إلى فراشه (أو معلفه – لا فرق) إلا متأخراً جداً بعد منتصف الليل فقد كان متعباً ومهموماً بعد أنْ انهالت عليه المصائب من كل جانب. ولهذا وحالما أغلق عينيه سقط في لجة الكوابيس التي بدأت

بمنارة الجامع وهي تتهاوي تحت قدميه مرات عديدة وانتهت بإعصار مدمر وفيضان كالطوفان جرف القرية وكل من فيها وأخذت الأمواج الطينية تدفعه إلى هنا وهناك من غير أنْ يمتلك القدرة على المقاومة والصمود.

لا يوجد أكثر رعباً من الكوابيس.

ولكن أسوء ما في الكوابيس هو تكرار المشاهد والأحداث المرعبة. فعندما كان يجرفه الفضيان إلى أسفل الهاوية فإنَّ سقوطه المرعب مسافات هائلة كان يتكرر عشرات المرات. إذ حالما يهوى من عليٍّ يعود من جديد طريق السقوط حتى استيقظ مذعوراً ومرعوباً.

وعندما صحا بعض الشيء من الكابوس اكتشف أن الشمس قد طلعت منذ ساعات وقد فاتت عليه وعلى الجميع صلاة الفجر(تصوروا ؟!) لأن مؤذننا الكبير كان نائماً كالحمير في معلفه الوثير متناسياً بأنه المؤذن الوحيد. والكلُّ يعرف [لا أعرف من هم الكل ؟!] أن المؤذنين قد أضربوا عن العمل (أقصدُ: الأذان) احتجاجاً على موقف أئمة الجوامع الذين قرروا السير على اقتصاد السوق والتصرف كـ"managers " : نفقات أقل وكفاءة عالية والله الحافظ من شر الغربيين والعرب الملحدين.

[2]

طبعاً لم يكن جميع أئمة الجوامع موافقين (فحرية الرأي مضمونة فقهياً طالما آمن الفرد بالجن والسعالي والطنلطل).

هناك من طرح قضية في غاية الأهمية وهي إذا كانت الإدارة الاقتصادية الرشيدة تتناقض مع مقاصد الدين فإنها حرام وألف حرام وباطلة شرعاً وأصحابها مأواهم جهنم وبأس المصير!

وطرح مُعَمَّمٌ آخر قضية أخرى تماماً وهي رفض الفكرة "جذرياً" في أن يكون الحمار مؤذناً من حيث المبدأ وتعلل (وله الحق في ذلك) بعدم صدور فتوة بالموضوع لحد الآن.

وقد أكد (بالقلم العريض) على أهمية الإجماع، فإجماع الأمة يطرد الغمَّة، كما قال أحدهم! وهناك من "**تملص**" و"**دَلَّس**" باحتراف عالٍ وبلاغة فقهية متطورة ولم يعط رأيه متحججاً بأنه لا يمكن البت بالموضوع قبل أن يدلو "**القائمين على الأمور**" بدلوهم أو رأيهم وشدَّد على وجوب طاعة ولاة الأمر" مستشهداً بكتابه "العزيز" على قلبه: "يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم". فكان برهانه محكماً، واستدلاله مبرماً!

وكما يحدث دائماً في ممالك الإسلام (القديمة والجديدة) وعندما يعجزون عن اتخاذ قرار صائب، قرر أئمة الجوامع تأجيل النظر في الموضوع حتى تحين مشيئة الله. و"مشيئة الله" لا غالب لها إلا هو!

وهذا ما تقوم به الحكومات دائماً: الانتظار.

والسبب بسيط للغاية: إنهم يحكمون شعوباً لا تطالبهم بالأجوبة.

غير أن الوقائع والتاريخ، للأسف، لا تنتظر هذه المشيئة!

[**ملاحظة هامة 1** تستبق الأمور: ولكن عندما "**حمت الحديدة**" فيما بعد انقلب جميع هؤلاء الأتقياء عما تحدثوا به وعما اقترحوه وادعوا أنهم كانوا ضد الحمار الذي دنس بيت الله وضد الإمبريالية وإسرائيل والملحدين وشركة كوكا كولا!

ملاحظة هامة 2: احتجاجهم على شركة كوكا كولا فيه نوع **المبالغة** والأحرى بهم كان الاعتراض على شركة مرسيدس!]

[3]

وهكذا استيقظ الحمار متأخراً وقد فاتت ومرت صلاة الفجر خاطفة من غير عودة ولا أحد أيقظ المؤمنين من لذة نوم الصباح اللذيذ الأمين،

والحق يقال، قد ملَّ جماعة "**المؤمنين**" هذا الاستيقاظ. ولهذا فقد فرحوا بداخلهم وألقوا اللوم على الحمار بخارجهم.

لكن الأحداث لا تبدو كما تبدو.

فالحقائق غالباً ما تختفي خلف الأحداث التي لا أحد يعرفها غير المطلعين على بواطن الأمور، فيما إذا كانت أحداثاً حقيقية أم مصنوعة!

فقد تفاجأ الجميع عندما قرر مختار القرية صاحب قطعان الماعز أن يحدد اجتماعاً عاجلاً دعا إليه جميع السكان وبحضور أئمة الجوامع التابعة للقرى القريبة [وقد ظهروا بمظهر المتفاجئين] لمناقشة ما حدث فجر يوم أمس. وقد حُدِّدَتْ ساحة القرية الرئيسية كمكان للاجتماع والساعة العاشرة كوقت لانعقاده.

حضر الجميع، وبعض من ماعزه، والعجوز العمياء، بل وحتى القطط والكلاب تبعت الناس إلى ساحة القرية الرئيسية لعلها تحظى بفضلات طعام يطرد عنها شبح الجوع والإملاق، ولم يتخلف عن هذا الجمع الغفير غير الحمار.

الحق أنه لم يتخلف، بل لم يكلف أحدٌ نفسُه دَعْوَتَه. حتى زوجته تناسته وحيداً في زريبته وانطلقت سعيدة مع **حمار الجيران الوسيم**.

الحقيقة الواضحة وضوح الشمس وهي أنه لا مكان له في مثل هذا النوع من الاجتماعات. فهي في مقاصدها (الفقهية) تعمل ضده وتسعى إلى ضرره. فما الفائدة له من حضوره وما الضرر لهم من غيابه؟

[4]

كان اجتماعاً لم يشهد مثله أحدٌ من سكان القرية.

وليس السبب لأنه لم يتخلف عنه أحد من سكان القرية (تقريباً لم يتخلف عنه أحد!)؛

ولم يكن السبب لأنه قد حضر جميع أئمة الجوامع القريبة؛

ولا لأن الجوامع قد أغلقت أبوابها، والمقاهي والمحلات خلت من زبائنها [اللهم إلا القطة المرقطة، التي تعرفتُ عليها فيما بعد، قررت اقتناص الفرصة للتسلل إلى دكان القصاب لعلها تجد شيئاً يسد جوعها وينتهي صيامها الذي طال.

ولكن لم تمض غير لحظات حين سمع الجميع كيف صرخت صرخة مدوية "ميااااو" من جراء ركلة القصاب الذي رمى بها إلى الجهة الأخرى من الشارع!؛

وليس السبب لأن الفجر قد مر من غير صلاة؛

بل وليس السبب حتى لأن زوجة المختار الصبية الجميلة قد حضرت الاجتماع فتحلق حولها الشباب والشيوخ الذين مَرَّة يستعيذون من الشيطان الرجيم ومرة أخرى من الشباب المتسرعين؛

إن السبب الذي جعل من هذا الاجتماع اجتماعاً تاريخياً هو ما كان يدور بين سكان القرية بأن رأساً سيسقط كرأس البصل، وصاحب هذا الرأس (يا مولانا) هو الحمار الذي تعدى الحدود فاستحق ما شرَّع الله من حدود ونهايته عذاب النار.

[5]

والسبب الآخر الذي سيجعل الناس يتذكرون هذا الاجتماع هو أنه كان قصيراً جداً إلى درجة لم يستطع شباب القرية بالتمتع بالاقتراب من زوجة المختار الصبية. بل أنه حتى أقصر من حبل المشنقة المُعَد للحمار.

كان أئمة الجوامع والمختار ومعاز المختار متفقين مسبقاً، وقد تناسوا آرائهم الأولى، ومستندين هذه المرة في قرارهم إلى فَتْوةٍ أخبرني مَنْ أثق به بأنها صادرة عن كبير شيوخ الإفتاء التي وزعت "بصورة سرية" على أئمة الجوامع بأن أذان الحمار **باطلٌ**؛

والصلاة على أذان الحمار **باطلة**؛

والدفاع عن الحمار **باطل**؛

ومناقشة آراء الحمار **باطلة**؛

وذكر الحمار في الصلاة **باطل**؛

وصلاة الحمير في الجوامع **باطلة**؛

وإنَّ ما يقوله الحمار منافيٌ للشرع وأن أذانه كان "**محدثة**" وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة و "مَنْ أَحْدّثَ في أمرنا ما ليس منه فهو رد" [من غير لف ولا دوران].

ولكن القطة المرقطة صرَّحت بنبرة ملغزة أمام الكثير من الناس قائلة:

- **يا أذان يا بطيخ!**

وحينما سَألْتُها عن قصدها ردت على عادتها وهي تغمز بعينها اليسرى وتهز بأكتافها وكأنها راقصة غجرية:

-"في وقت آخر، حبيبي" !

واختفت كالأرنب في قبعة الساحر مثلما ظهرت!

[6]

وهكذا فإن تحليلات مؤسسات الدراسات الاستراتيجية والمؤشرات المرئية والمخفية كلها تشير إلى أن الحمار قد أصبح في "خبر كان". فقد خرق الحد الفاصل ما بين الإنس والحيوان وتفَّوه بما يخالف الإيمان وتسلط على منارة الأذان. وكل هذه الذنوب من الكبائر منذ الآن حتى ظهور المهدي.

وبعد أن استطاع أئمةُ الجوامع توريط المختار بافتتاح الاجتماع وتَحَمُّله تبعات قرارهم حتى آخر الأيام تقدم المختار إلى منصة صنعوها بسرعة وارتجال وهي بضع طاولات من المقهى القريب وبعد أن شرح موقف أئمة الجوامع الفقهي على عجل[وقد علق مفتتحاً الاجتماع بتواضع بأنه غير متخصص في هذه الأمور] أعلن، والشباب يضيقون الحلقة على زوجته الصبية، ما يلي:

- "**لقد اقترف الحمار ما يخالف الشرع ويعادي وحدة الأمة ولهذا فإن "ذنبه على جنبه" ولا تتحمل القرية عواقب ما فعل ولا ذنب لها فيما اقترف والصلاة والسلام على ....**" . وقبل أن يكمل جملته الأخيرة أخذ صوت زوجته الصبية يتعالى وهي تتأوه وتتحسر وشباب القرية يتلمظون حولها وكأنهم قطط انتهت لتوها من تناول صوصج دجاج مشوي على الفحم!

فنزل المختار من المنصة المرتجلة متوجهاً صوب زوجته الصبية مما جعل شباب القرية ينفضون عن حلقتهم الضيقة التي حاصروا بها زوجته. فاشتاط المختار غضباً ومسك زوجته الصبية [كما اعتاد أن يمسك معازه من قرونها] من شعرها وجرجرها إلى بيتهم العالي القريب من الساحة.

[7]

أما أئمة الجوامع فقد واصلوا "**الاتصال**" بالجماهير "يستفسرون عن أحوالهم" ويردُّون على استفتاءاتهم في باب الوضوء والنجاسة والطهارة والنكاح وغسل الميت ونجاسة الذمي وأحكام الضراط وحكم الزواج من الهندوسي ورأي الشريعة في ويندوز 3.0 ومكيفات الهواء ***westinghouse***، وما رأي الدين في المطر الصناعي وهل هو حلال أم حرام، وغيرها من الأمور الهامة والمصيرية لحياتهم.

وبعد انتهاء الاجتماع عادت زوجة "**صاحبنا**" الحمار التي لم يكن يبدو عليها أية علامات للتأثر أو القلق، بل كانت مستبشرة ومستمتعة بصحبة حمار الجيران وحميرها الصغار يلتفون حولها وكأنهم في يوم عيد.

[8]

كنت على ثقة بأن القطة المرقطة تعرف الشيء الكثير من أسرار المجتمع "**اللامدني**" للقرية، وأسرار الحمار بالذات، ولهذا قررت الاتصال بها بصورة سرية ومهما كلف الأمر [وبقدر ما يمكن حفظ السر في هذه القرية. وكما تقول القطة المرقطة: "**الأسرار أحمال يجب إلقاءها جانباً**"] لا أعتقد أن الأمر يكلف أكثر من صحن "صوصج بالدجاج"!

وبينما أنا أفكر بطريقة الاتصال بها مرت بالقرب مني قطة صغيرة تبدو وكأنها منهكة ومريضة. وعندما سألتها فيما إذا كانت تعرف القطة المرقطة أجابت بصورة ملغزة:

- ربما!
- طيب، هل من الممكن أن تنقلي لها رسالة شفهية ؟
- يعتمد ؟
قالت القطة وكأنها خبيرة بعالم السياحة والخدمات الاجتماعية!
-"أرجوكِ قولي لها بأنني سأنتظرها عند دكان القصاب وسوف "**أشكرك على خدمتك**"، وغمزت لها بعيني على طريقة القطة المرقطة موحياً لها بشيء لذيذ. فانطلقت القطة الصغيرة التي كانت في البداية تبدو واهنة القوى كنمر يطارد غزالاً في براري إفريقيا، حتى أني لم أستطع ملاحقتها بنظري!

انطلقتُ باتجاه القصاب ولم أكن أعرف فيما إذا كانت خطتي ستنجح أم لا. وقبل أن أصل دكان القصاب سمعت صوتاً يناديني:

- حبيبي!
وعندما التفتُ كانت القطة المرقطة تسير خلفي وكأنها لا تعرفني ثم همستْ وهي تراقب المارة:
- أشمُّ رائحة الصوصج بالدجاج. هل تشم أنت أيضاً.
- سأكون سعيداً لو تشاركيني بقطع من الصوصج المحمرة ؟
قلت بأدب جمٍّ يليق بالحديث مع قطة من هذا النوع.
- هل تخرَّف ؟!
ردت بشيء من الاستغراب والاستهجان معاً.
- أنا لم أذق طعم البروتينات منذ عودة المختار من الحج هو وزوجته الصبية!

[9]

طلبتُ من القصاب بتحمير قطع من الصوصج و "رشَّة" من السماق ورغيف من الخبز الطازج وبعد أن جهز كل شيء لفها برغيف الخبز وطواها في صفحة من صحف الحكومة التي توزع مجاناً بإشراف المختار ومن قبل القنفذ السريع.

أخذنا الصوصج وتوجهنا إلى مصطبة آيلة إلى السقوط في الحديقة الصغيرة المقابلة لدكان القصاب. وبعد أن جلسنا [أقصد عندما جلستُ أنا. فالقطة جلست في مكان استراتيجي تحت المصطبة مستعدة للقفز والهروب].

في الجهة الأخرى من المصطبة كانت تجلس القطة الصغيرة وكأنها ظهرت من الفراغ وهي تنظر إلي بنظرات ذات دلالة واضحة وكأنها تقول: "أنت وعدتني!".

وهكذا فتحت الجريدة وأخذت قطعة من الصوصج ورميتها للقطة الصغيرة، أما الباقي فقد قدمته للقطة المرقطة التي قالت بدون تفكير:

- "لا حبيبي، بدون خبز!"

- "واضح".

قلت موافقاً فأعطيت الخبز للقطة الصغيرة التي تلقفته بامتنان وقدمت للقطة المرقطة قطع الصوصج بالدجاج.

لست متأكداً كم استغرق التهام القطة المرقطة لقطع الصوصج. لكنني متأكد بأنها كسرت كل الأرقام القياسية المحتملة!

وحالما انتهت وتلمظت ثم مسحت شواربها وعدلت من جلستها، قالت:

- "**حركة مُرَاجَعَة**"!

- ماذا ؟

- هل أنت أطرش ؟ "حركة مُرَاجَعَة "؟

وأخذت تصرخ وكأنني أطرش.

- لقد سمعت! "حركة مُرَاجَعَة "! ماذا يعني "حركة مُرَاجَعَة "؟

- اسمع ولا تقاطعني، أوكي ؟! حركة تصحيحية ... هل تفهم ؟

- "لم ألتق بحياتي أسوء من هذا القطة"، هَمْهَمْتُ مع نفسي بصوت غير مسموع.

- أسْمَعُ ما تقول. فأنا لست عجوزة!

قالت القطة ثم أخذت، كخبير استراتيجي، تشرح لي بالتفصيل قضية "**حركة المراجعة**" . . . .



[الفصل الرابع]



[الحمار وهو متخفٍ بين المواطنين]

[1]

كان ما أسَرَّته إليَّ القطةُ المرقطة من حديث يجعلها، بدون نقاش، محللاً سياسياً من الطراز الرفيع. فهي لم تكن تهتم بالتفصيلات العابرة ولا بالافتراضات الجانبية التي أطلقها القصاب وبائع السمك، ولا آراء المختار

الساذجة. وإنَّ أكثر ما كانت تتجنبه هو تصريحات أمين الشحات إمام الجامع الأحول، الذي كانت تقول عنه بأنه "جامعُ أحاديثَ العَجَائِز" و"مختلق الخرافات" و"مؤتمن على الهراء". وهي لم تهتم بـ"الأدلة العقلية" على غرار جماعة الباطنيين. فالحقائق "الصلبة" كانت مهنة القطة المرقطة الحقيقية وقد كانت تتجنب أسلوب "حلقات وسلاسل الرواة" و"مبدأ الإسناد"، قال فلان الذي سمع من علتان، وقيل أن فلان سمع من عفطان... فهذه السخافات بالنسبة لها، وكما تقول هي:

- تعويض عن غياب الحقائق!

فمصادرها كانت مباشرة وشخصية محضة [تقريباً شخصية]. فهي شاهد عيان، سمعتْ كلَّ شيء بأذنيها، ورأتْ كلَّ شيء بعينيها ولهذا فإنَّ حياتها كانت معرضة للخطر مما اضطرت للاختفاء فينا بعد.

باختصار:

كان الحمار جزءاً من حركة تصحيحية واسعة، أو المصطلح الذي كانت تصر عليه القطة المرقطة "**حركة مُرَاجَعَة** " للعقيدة المحمدية!

[2]

فإذا كان الناس قد اشمأزوا من أكاذيب وسخافات الكهنوت فإن الحمار كان مشمئزاً من موقف "رب العالمين" [كانت قد تبقت في قلبه أو "فؤاده" ثمالة إيمان بوجود رب خالق. أو كما قال للقطة المرقطة نفسه: لقد جزعت من هذا الرب].

فقد أهان هذا "الرب" الجميع. وقد كانت شتائمه لا تقل ابتذالاً عن شتائم السَّوقة والدهماء.

كما كان جزءاً من موقف محمد على حد سواء. فقد بدأ بشتم عمه وانتهى بشتم وإهانة الحمير لا لسبب إلا لكي يتظاهر أمام أصحابه بأنَّه راوي حكايات طريفة!

[3]

مرة سأل الحمارُ القطة المرقطة:

- ما هذا الذي ينقل أبو هُرَيْرَةَ عنه: "يَقْطَعُ الصَّلَاةَ: الْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ، وَالْحِمَارُ"، هل هذا كلام يقوله عاقل؟

في البدء حاجج الحمار كفقيه متمكن من أدوات البحث وعلم الرجال [القطة المرقطة تسميه: علم اللقطاء] متبعاً بعرض تساؤلاته أسلوباً علمياً "هادئاً" حتى لا يحرِّض ضده "سكان المعمورة" التي لم تعد معمورة وكل المنظمات الإسلامية ومكتب البريد ومصلحة النظافة وهيئة الإحسان وشركة إنتاج الزيوت. فما كان يسعى إليه هو البرهنة على عدم صحة قراءة النَّصَّ الأَوَلِّيّ (إذا كان هناك نَصَّاً أَوَلَّيَاً) بسبب خلُوِّه من التنقيط والتشكيل وهذا ما يجعله عرضة لقراءات متعددة، وصرح غير مرة في مركز القرية، أمام جَمْعٍ غَفِيرٍ من المارة وكانت القطة المرقطة والمختار وبائع الخُردة من بينهم، ما فحواه:

- إنَّا نشكُّ في هذه القراءة!

قال الحمار متحدثاً على أسلوب الفقهاء حتى يعطي لما يقوله نوعاً من المصداقية والثقل أكثر مما يستطيع مستمعوه أن يدركوا.

- فهذه القراءة (يقول الحمار) لا تعبر عن "الذات الإلهية" أكثر مما تعبر عن تقاليد عربية معادية للحمير! فما هو الفرق بيننا ؟

لم يفهم أحد قصده من "ما هو الفرق بيننا". ولكنهم "بفطرتهم" قرروا أن في هذه العبارة من المحظورات!

- وااااه . . . . . .

أطلق مستمعوه صوتاً غريباً لا معنى له في القواميس والمعاجم العربية. وإذا ما استثنيت نفسي (ولا يزال الكلام للقطة) فإن "واههم" كانت أقرب إلى الخوف من التعجب. ورغم أنهم ما فهموا شيئاً حتى اللحظة، لكنهم أدركوا بحدسهم "الفطري" بأن الحمار سيقول ما لا يُحمد عقباه!

- المعنى .. المعنى يا شيخ!

طالب ساعي البريد الملقب بـ "السلحفاة"، لأن بطاقات التهنئة بعيد الفطر "المبارك!" للعام الماضي لم يوزع إلا نصفها بعدُ. أما بطاقات التهنئة لهذا العام، فلها أن تنتظر ما شاءَ السلحفاة أن تنتظر، فهو رب البريد! ومن يعرف السلحفاة عن قرب، وأنا أعرفه، فإنه يطالب بـ "زبدة الكلام". فهو ليس بطيء الحركة وحسب، وإنما بطيء التفكير والفهم أيضاً.

- نحن لسنا متفرغين للكلام مثلك. عندنا عمل!

صاح من بعيد القصاب.

- المعنى .. المعنى!

كرر السلحفاة مصراً على الاختصار مسترشداً بالقول العربي "خير الكلام ما قلَّ ودلَّ".

لم يكن هذا الإلحاح يعجب الحمار.

الحق أنه كان مستعداً فقهياً، لكنه لم يجد بداً من الاختصار وإلا فَقَدَ مستمعيه. فنظر نحوي نظرة غريبة مليئة بالمعاني فأخذ جلدي يقشعر من الخوف. فأنا لست ضده ولست معه. أنا مثل دول عدم الانحياز، أنحاز حسب اتجاه الرياح والمصالح. وإذا ما حدث وحسبوني بأنني أتفق معه فعليَّ أن أقول "وداعاً أيتها الفِتات والفضلات، وداعاً يا بقايا السمك، وداعاً أيتها السعادة". فما كان عليَّ إلا أن أضمَّ صوتي إلى بقية الأصوات قائلة شيئاً لا يفهمه ناسُ الفطرة:

- مياو . . مياو!

- أنتم تعرفون، كما يعرف الجميع . . . . (واصل مطيع).

- نحن لا نعرف يا فَهِيم، كما لا يعرف الجميع. هل تريد أن تعرضنا للشبهات ؟

قاطعه المختار وقد حظيت مقاطعته بترحيب وموافقة الآخرين. فواصل الحمار على مضض:

- لم تكن الكتابة العربية وقت كتابة "مصحف محمد" تحمل نقاطاً ولا حركات. ولهذا فإنهم في الآية: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" وبدلا من أن يقرؤوا النقطة تحت الحرف: " **أَبكَرَ الْأَصْوَاتِ**"، بمعنى أوَّل الأصوات، أو ربما الصوت البِكر، قرأوها بنقطة فوق الحرف " **أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ**" وهذه هي بداية المشكلة، يا جماعة، هل تفهمون!

[4]

لم يفهم أحد من "الجماعة" المتحلقة حول الحمار ذلك اليوم في مركز القرية أي شيء مما قاله، لكن المختار كان على ثقة بأن الحمار يضمر شيئاً غير مستحب وسارع إلى الجامع، على عادته، ليخبر إمام الجامع الأحول. فهو "مُخْبِرُ" الدولة وهذا هو اسمه الحركي.

أما الآخرون فقد وقعوا في "بئر" الحيرة والفزع من قصة "النُقْطَة" التي تحت الحرف وليس فوقه. أمَّا إمام الجامع فقد أخذ يُكَبِّرُ ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ومن الحمار السقيم وعلى عادة شيوخ الأزهر في محطات التلفزيونات الفضائية [وهو لم يكن من الأزهر] أخذ يلوح بسبابته صوب المكان المتوقع لتواجد الحمار ويقول بكثير من التهديد والتشفي:

- ها أنت تقع في الفخ يا حمار!

لم يفهم المختار قصده، لكنه، وبحسه الإداري وتجربته مع إمام الجامع، كان على حق حين قرر بأن أخبار الحمار ستكون سيئة!

في اليوم التالي أخذت تظهر في جميع أنحاء القرية قطع صغيرة لُصِقَتْ على باب القصاب وفي المقهى وعلى باب مقر المختار وعلى جدران الجامع [المكسوة بلطخ بنية لا أحد يعرف هل هي حناء أم خراء] وفي الأماكن البارزة في القرية وقد كتب عليها:

" النهيق ممنوع والعتب مرفوع "!

[5]

- عليَّ أن أقول "قولة الحق" ...

قالت القطة المرقطة وهي تتلفت يميناً ويساراً. وعندما لَمَحَتِ القطة الصغيرة وهي لا تزال تلحس رغيف الخبز وكأنها تبحث عن آخر "نانو" من صوصج الدجاج، نهرتها قائلة:

- كِشْ!

فلاذت القطة الصغيرة بالفرار، وكالعادة من غير أن أتبين آثارها اختفت بقدرة قادر، أو كأن الأرض قد ابتلعتها حالما سمعت "كِشْ" ثم قالت القطة المرقطة وكأنها تبرر علاقتها الخالية من الود إزاء القطة الصغيرة:

-لا تأمن الصغار، فهم أسوء من الكبار في نقل الأخبار!

ثم واصلت روايتها:

- إلى أين وصلنا، حبيبي؟

- إلى "قولة الحق"!

قلت بشيء من الجزع. فهي تُقَطِّرُ الكلامُ تقطيراً وكأنَّ لديها وقتاً محدداً وعليها أن تشغله بالكلام.

ثم واصل القطة المرقطة:

- الحق أن الرجل، أقصد الحمار، قد بذل جهداً محموداً وحاول أن يطرح وجهة نظره بصورة مسالمة أمام الكثير من الناس و"اللَّاناس". إذ أنه تحدث مع معاز المختار ومع العجوزة بائعة الفجل - الحاجة عفرة التي لم تحج إلى أي بيت من بيوت الدنيا غير بيت المختار، نزولاً عند رغبته لتعليم زوجته الصغيرة بعضاً من فنون النساء. لكنها بدلا من ذلك علمتها كيف تتحايل على المختار وتبتزه وتفرض عليه ما هو عاجز عن قبوله، مثل دعوة ابنها العاطل الأعزب [الذي كانه لقبه الشهير "أبو كاسكيت" لأنه كان يضع على رأسه كاسكيتاً حتى في النوم] لكي يقوم بزرع أشجار التين في حديقة البيت المرتقبة والتي لا يمكن أن تنمو في قرية لا تمطر السماء فيها إلا وقت الأعياد الوطنية ولهذا فهو قد قام بـ"**حرث**" أرض أخرى! فزوجة المختار الصبية كانت بحاجة إلى دروس عملية ما كان المختار يدفع ثمنها!

فصرَّحت العجوز أمام الحمار، من غير لف ودوران، قائلة:

- جِلْدُك يحكَّك!

لكنه لم يفهم كالعادة.

[6]

واصل الحمار محاولاته" **التنويرية**" في قرية لا تعرف معنى التنوير لشرح قضيته العادلة فتحدث مع بقرة الجيران البوذية، التي قالت له بالحرف الواحد "**هذي مشكلتك مولانا فكل واحد منَّا يتحمل وزر ما فعله في حياته السابقة**"!

ثم اتصل بصورة سرية بصاحب المقهى الأذربيجاني[16] لكن الأخير قال له ليس بالحرف الواحد " الله قاراداشيم بيلميرم[17].

بل هو لم يستثن حارس الجامع [الذي غالباً ما يسرق مصابيح الجامع ويبيعها في السوق السوداء حيث كانت توجد في سوق القرية قطعة سوداء كتب عليها "**محل اللُّقطات**"] وزوجة المختار، التي لم يجذب انتباهها شيئاً آخر غير قدرة الحمار على الكلام.

كما عرض قضيته أمام المعلم الوحيد في القرية [وهو شيوعي سابق منفي من قبل الحكومة في مدرسة تتكون من خرابة لا يحضر فيها غير عدة تلاميذ حتى لا يختلطون بأولاد الحرام] الذي نصحه بأن يهتم بعلفه بدلاً من أن يحث الخطى إلى منيته وهو لا يريد أنْ يتدخل بالسياسة بعد ما "بهذلوه".

---

[16] **لا أحد يعرف كيف وصل هذا الأذربيجاني إلى هذه القرية النائية من بلاده والتي هي ليس أقل تصحراً ولا البشر هنا أقل قساوة من البشر هناك، ولكن عليَّ الاتفاق مع القطة المرقطة قولها: لله في خلقه شؤون!**

[17] **وهي تعنى، والمسؤولية تقع على عاتق القطة: "والله يا أخي أنا ما أعرف!".**

[7]

ولأنَّ مطيع صبور وعنيد فقد أتصل بسِرّيَّة شديدة وتكتم بشلة من الحمير في القرية المجاورة وشرح وجهة نظره "لها" أو "لهم"، لا فرق، فكانت لهم "وجهة" أخرى هربوا إليها، ما عدا الحمار المُسِنُّ الذي ظل في مكانه واقفاً متأملاً حمارنا فترة طويلة جداً ما يكفي لكي تنبت للحمار أسنان جديدة، ثم قال:

- **أنت عندك مشاكل نفسيه، يا بني! أليس من الأفضل أنْ تمارس رياضة البولينج بدلاً من أن تبذر وقتك في أمور لا طائل منها؟! إما أن تؤمن وإما أن تطلب اللجوء! فالطريق الثالث أفشل الطرق!**

أمَّا عبد الباري المفتي [كان جده مفتى القرية] البيطري[18] الوحيد في القرية والمشكوك في أنه يحمل شهادة بيطرة والذي لا يمانع من معالجة سكان القرية في حالات الطوارئ قال له بأنه غير متخصص بالحمير ولا يفهم اعتراضاته اللاهوتية. كما أنه لا يعنيه لا من قريب ولا بعيد سواء كان للحمار "**أنكر الأصوات**" أم "**أبكر الأصوات**". فالحمار يبقى حماراً حتى لو غنى أغنية "**أنت عمري**" لأم كلثوم!

[8]

باختصار شديد، بذل الحمار جهوداً جبارة ليبدد تصورات الناس الخاطئة حوله والمسيئة له ولأبناء جنسه بسبب سوء فهم الآية المذكورة وأحاديث "الحبيب" التي أخرجته عن طوره في مناسبات كثيرة. فهو لا يفهم كيف يكون بمقدور نبي، مثل محمد، أن يقول: "إذا سمعتم أصوات الدِيَكة فاسألوا الله من فضله فإنّها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوَّذوا من الشيطان فإنها رأت شيطاناً"!

- هل هذا معقول؟! (يردد الحمار دائماً).

ولم يكف الحمار عن تساؤلاته:

"ما علاقة صوت الديكة بالملائكة وما علاقة صوتي بالشيطان؟" و"ماذا إذا رأى الناس فيلاً؟ أو بقرة؟ أو دباً؟ أو دُعْمُوصاً؟ **هل هذا كلام يا نبي الإسلام**؟".

ثم يضيف:

-"طيب، فهل يعني حين تبدأ جميع حمير الأرض بالنهيق، فأنها ترى الشيطان؟ أليس هذا تناقضاً منطقياً؟ كيف يمكن أن يكون الشيطان في كل مكان وفي آن واحد؟ أليس هذه من خصائص رب العالمين المُفْتَرَض؟

وهل يوجد أكثر من شيطان؟".

أسئلة الحمار كثيرة والإجابات معدومة والعين بصيرة واليد قصيرة.

كانت تلوح في الأفق أحداث جلل...

---

[18] **يدعي عبد الباري محظوظ المفتي بأنَّه درس البيطرة في "جامعة لهور الإسلامية" تخصص: الحيوانات الأسترالية وبشكل خاص الكنغر. وهو يعمل في غرفة لا يوجد فيها غير كرسي ومنضدة متهاوية ملحقة بمقر المختار وقد علق على جدار الطين عدداً كبيراً من الشهادات بلغات أجنبية هندية وباكستانية وروسية].**

كان الحمار يسعى إلى أثبات ما لا يمكن إثباته: أنَّ لا فرق ما بين صوته وصوت المؤذنين.



ثم نشرت القطة مخالب أرجلها الأمامية وكأنها قد أنهت ما عليها من كلام:

- هل أنت راض، حبيبي؟

قالت القطة وهي تستعد للانطلاق للبحث عن مغامرة جديدة وحقائق جديدة ومستمع جديد.

إنها التاريخ الحي للقرية. إذ لا قرية بدونها. فالتاريخ يخلق القُرى، وليس العكس!

- من يرضَ عن معرفته، فسوف يغلق على نفسه باب الجهل!

قلتُ وكنت أنتظر من القطة المرقطة أن تُعَلِّق بطريقتها الساخرة. لكنها اختفت مثلما ظهرت.

[9]

خلال وجودي القصير في قرية الحمار تحدثت مع "ذوات" كثيرة، بشرية وحيوانية، ووصلت إلى نفس قناعة القطة المرقطة بأن الرجل، أقصد الحمار، وقبل الصعود إلى مئذنة الجامع، سعى إلى إقناع المؤمنين بما هم عاجزين عن الاقتناع به وهو أن في "الكتاب" خطأً أو سوء تقدير، حتى أنَّ حفار القبور المعتوه، ابن أخت المختار، أخذ يحفر قبراً عميقاً وعريضاً رغم أن لا أحد قد "انتقل إلى الرفيق الأعلى". وعندما سألوه "لمن هذا القبر" أجاب من غير اهتمام وباختصار شديد:

- للحمار!

هذا ما دفع الحمار ليس إلى حافة اليأس، بل إلى أعماق اليأس المظلمة. فقد تخلى عنه الجميع: أتانه والجيران والأصدقاء، وحتى الحمير "الذين" كان يدافع عن كرامتهم الشخصية وسمعتهم التي لوثتها آيات "الكتاب" من غير حق أو سبب وجيه، نهقوا بوجهه وتركوه.

وهو في بحر الظلمات التي تعصف به أمواجه الرهيبة، وحيداً، مخذولاً، مهاناً ومذلولاً، رفع رأسه إلى السماء [بقدر ما هو قادر على رفع رأسه] وصرخ [أو نهق] في وجه رب قرر أن يسقطه من حسابه:

- "أنتَ ازدريتني وحقرتني وجعلت الناس يستخفون بي، فكيف يحق للصانع أن يزدري ما صنعه؟

إنك لأسوء صانع!

فقد أثْبَتَّ أنك بشر ككل البشر، وأنت زائل ككل الزائلين"!

[10]

كانت صرخته [أو نهيقه] مدوية، ارتجف من هولها الجميع، حتى لكأنهم في حلم، أو تهيأ لهم بأنهم قد سمعوا فقرروا أن هذا محض أضغاث أحلام أو أنه من جراء اللحوم الفاسدة التي يبيعها القصاب بالتشارك مع المختار وإمام الجامع والأسماك المتعفنة في دكان السَّماك بسبب حرارة الصيف الحامية.

لاذ سكان القرية بالصمت [لأنه ليس هناك ملاذاً للهرب]. فما سمعوه منه لا يمكن أن يتحدثوا به، وما لا يمكن التحدث به لا وجود له.

حفار القبور المعتوه وحده تمكن من التعبير الغامض وهو يحفر قبراً للحمار حتى قبل أن يسمع خبر موته:

- وهذا هو!

إنه موت الحمار غير المعلن.

فهو كالأشجار تموت واقفة ولا تزال خضراء حتى يحسبها الرائي بأن ثمارها سرعان ما ستظهر بعد قليل. لكنها ميتة وستتهاوى في لحظة ما لا يمكن حتى القطة المرقطة أن تتوقعها.

فنهق الحمار، أو أذَّن، وقد صار ما صار!



[الفصل الخامس]



[إنتظار ...]

[1]

المؤتمر الصحفي لرئيس الجمهورية:

على صعيد آخر [كما يقول مذيعو الأخبار العربية وغالباً ما لا توجد أية علاقة ما بين "الصعيدين"] وبعد يومين طويلين وثقيلين من المباحثات والتداول والتشاور وتبادل الآراء مع مستشاريه قرر الرئيس[19] عقد مؤتمر صحفي مرتجل على الطريقة الأمريكية "***briefing***" حتى يقول للناس رأيه في موضوع الحمار [وسائل الأعلام الرسمية لا تذكر اسم الحمار. إذ غالباً ما تكون صياغة الخبر كالتالي: "**رأيه في الموضوع**". والحرُّ تكفيه الإشارة!]. كانت القاعة المخصصة للمؤتمرات تغص بكاميرات وميكروفونات محطات الإذاعة والتلفزيون المحلية والعربية والعالمية ووكالة أنباء كوريا الشمالية ومراسل جزر القمر وممثل عن المركز الصحفي لقرية الحمار "**Donkey village**" ويشغل في نفس الوقت منصب مستشار العلاقات الخارجية لمختار القرية[20]، أما الصحفيون فقد كانوا يترقبون ظهور الرئيس وهم يرتجفون من الخوف [إحدى مراسلات التلفزيون الرسمي كانت بحاجة إلى الذهاب إلى "بيت الأدب"!].

[2]

كان الجو متوتراً ومشحوناً بالكثير من الأسئلة التي رفض الكثير من المسؤولين الإجابة عليها. حتى "الحاج" وزير الأوقاف قد اعتذر عن الإجابة على أسئلة الإعلام الرسمي، المهتمين بنقل الحقائق "**المُرْضية**" و"**المفيدة**" للحكومة، متحججاً بأنه قد عاد لتوه من العُمرة وهو بحاجة إلى التعرف على "**حيثيات**" القضية. وقد ظل يردد طوال الأيام التي سبقت المؤتمر الصحفي لسيادة الأب القائد:

-" يا أخوة، **الحيثيات** مهمة، بدون **حيثيات** لا يوجد أي شيء، **الحيثيات**، **الحيثيات** أهم شيء".

[3]

أما هيئة الإفتاء الوطنية [أو القومية] والتي لا تهتم كثيراً بالحيثيات وبعد صمت دام أكثر من أسبوع قررت الكلام ممثلة بالشيخ المَفْتُون [هكذا كان اسمه، ولا أحد يعرف بمن أو بما هو مَفْتُوْن!]، وهو مسؤول الإعلام الخارجي [هل يوجد مسؤول للإعلام الداخلي؟]، الذي قرأ أمام الصحفيين وبصوت كئيب خال من أية حياة [من المؤكد أنه قد تدرب عليه طويلاً]بياناً رسمياً مقتضباً ما يلي نصه:

"الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فبناء على قرار من سماحة رئيس الهيئة رقم:

---

[19] **حسب المعلومات التي حصلت عليها من مصادر مختلفة فإن مسقط رأس رئيس الجمهورية هو قرية Donkey village. لكنه ينكر ذلك بحجة أن أمه كانت في زيارة لأبنة خالتها [زوجة القصاب الأولى التي ماتت أثر سقوطها من سطح البيت رغم عدم وجود سُلَّم يؤدي إليه!] وقد صادفت ولادتها هناك.**

[20] **وهو الملقب بـ"أبي الشباب" وابن أخت المختار وزوجة إمام الجامع الثالثة. ولكنه ليس ابن إمام الجامع بل من زوجها السابق.**

[ألمص طسم ف35258097889674476628090262] وبتاريخ2009/9/6 وبناءً على مستجدات أمور الدين سيتم عقد دورة طارئة لمجلس هيئة كبار العلماء في موضوع الحمار.

وقد أعدت اللجنة الدائمة بحثاً في ذلك يتضمن أمرين:

الأول: تعريف وبيان أسس وأنواع وأركان الأذان، وحكم المؤذن من غير جنس البشر سواء كان حماراً داجناً أو وحشياً، والاطلاع على الحكم عليه بالإباحة أو المنع.

الثاني: ذكر خلاف الباحثين في حكمه وأدلة كل فريق منهم مع المناقشة.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه".

[4]

في قاعة المؤتمرات [تحرص أغلب حكومات العرب على بناء قاعات المؤتمرات استلهاما للتراث العربي على شكل خيمة تسميها القطة المرقطة: حدبة البعير!] طال انتظار الصحفيين وفي لحظة ما بدا وكأن المؤتمر الصحفي قد تم إلغاءه وقرر البعض مغادرة القاعة فسمع الجميع جلبة قادمة من مكان ما ثم ظهر أفراد الحماية الذين تجاوز عددهم ضعفي الصحفيين المتواجدين في القاعة وسرعان ما ظهر وزير الداخلية مغموماً متثاقلاً يزحف على الأرض زحفاً، وقد أرسله رئيس الجمهورية حتى يورطه. فلعل لسانه يزلُّ ويجد حجة لإقالته. لأنه هو السبب لكل هذه الضجة. إذ كان عليه أن يلقي القبض على الحمار قبل أن تستفحل الأمور ويعرف جميع أولياء الأمور!

وقف وزير الداخلية خلف المنصة [لم يظهر من الوزير القصير إلا رأسه وأوداجه المنتفخة والمتوترة] وبعد أن جال بنظره في أرجاء القاعة بنظرات لا معنى لها ولا هدف قرر الكلام قائلاً:

"بسم الله الرحيم. باختصار، الكل يعرف قضية ... هذا، المؤذن ... . المهم. هذا الحمار، أو أي شيء آخر، الموضوع واضح جداً. الدولة في الوقت الحاضر لا تستطيع التدخل في الموضوع. لحد الآن ليست لدينا أدلة عقلية ولا حسية. . . ما علاقتنا بالموضوع ؟ اتصل سيادة الرئيس بسماحة رئيس هيئة الإفتاء القومي وشرح موقفه من القضية ورجا سيادتُه سماحة المفتي بالتفضل بإبداء الرأي. وقد وعده خيراً. ف .. فهذا، أنتم تعرفون للحمار تاريخ ملتبس وعليه الكثير من علامات الاستفهام، هو مؤذن في جامع صغير، ولا أعرف لماذا عملتم ضجة ؟ سوف نتدخل إذا طلبت المرجعية ذلك. هذا واضح للجميع. فالحمار، لا أعرف ما اسمه، قام بحماقة كبيرة، كما قلت هذه ليست أول حماقة، له سوابق، عنده آراء متطرفة والرئيس ضد تطرف الحمير، هل هو حمار أم فقيه ؟ إذا تحول الحمير إلى فقهاء فماذا نفعل إذن بالفقهاء ؟! لماذا لا يتناول علفه ويحمد الله على توفر العلف بدلاً من الكلام حول موضوعات لا تخصه ؟ لا أعرف. نحن ننتظر مجريات الأحداث. هذا كل ما عندي".

فأخذ الصحفيون يتصايحون ويتسابقون للحصول على أسبقية طرح السؤال الأول. فأشار الوزير إلى ممثل التلفزيون الرسمي (طبعاً).

- سيادة الوزير، الموضوع جِديٌّ . .

فقاطعه الوزير بعصبية:

- وأنت من أين تعرف بأنه جِديٌّ ؟ هل أنت تفهم أحسن من الحكومة ؟

- لا، سيادة الوزير. ولكن صرَّح عَالِمٌ مسلمٌ بأن أذان الحمار هو السبب في سقوط مركبة فضائية على القمر!

سأل الصحفي مرتبكاً. فرفع الوزير يده لإسكات الصحفيين الذين أخذوا يتصايحون طالبين طرح الأسئلة:

-"هذه مبالغة مُغْرضة، أكيد نشرتها CNN . كيف وصل صوت الحمار إلى القمر ؟ هل هذا معقول ؟ هل سمعه أحد هناك ؟ هذه مبالغة لا معنى لها. سوف تقوم اللجنة الفقهية التابعة للحكومة بدراسة الموضوع بالتفصيل. وبعد ذلك سننظر بقضية هذا الحمار. ما اسمه ؟ لا أقصد الحمار الأول، بل العَالِم المسلم ؟ لماذا لا يتفرغ للصلاة كما يفعل جميع المسلمين ؟ سنرى قضيته فيما بعد".

ثم غادر مثلما جاء محاطاً بعشرات من رجال الحماية وشرب الصحفيون ماء بارداً كما يقول المثل!

أما ما يتعلق بمراسلي محطة CNN فقد قرروا مغادرة القاعة والبلاد والشرق الأوسط على عجل!

[5]

هجوم كتائب الصاعقة الحكومية وقوات التدخل السريع:

ازدادت الأحداث في بيت الحمار توتراً ودرامية.

فبينما كان المؤتمر الصحفي لرئيس الجمهورية [هذه لغة عربية: مؤتمر رئيس الجمهورية الذي مثله وزير الداخلية!] لا يزال جارياً داهمت مجموعة من أفراد الشرطة وكتائب الصاعقة ووحدة مكافحة الإرهاب وقوات المشاة وقوات التدخل السريع وهيئة الأخلاق التابعة لقسم العلاقات الخارجية في هيئة الإفتاء ومسؤول العمل الحربي في وزارة الأوقاف والقطة المرقطة [في الحقيقة لم يكن لحضور القطة المرقطة طابعاً رسيماً. فقد تسللت بصورة غير قانونية] بيت الحمار وقاموا بتفتيش جميع أنحاء البيت، بل وحتى علف الحمار.

الأمر الغريب هو أنهم لم يكونوا يبحثون عن الحمار. فقد كان حضرته في المعلف يراقب أفراد الشرطة بمشاعر خليطة من الاستغراب واللا أبالية واللامكترثة.

وكما يبدو فإن أفرد الشرطة كانوا يبحثون عن شيء آخر أكثر أهمية من الحمار، وثائق ومستندات سرية أو منشورات سياسية أو أدبيات أجنبية لها علاقة بوكالة الاستخبارات الأمريكية أو وثائق تعود للمخابرات السويدية مثلاً تنادي بالإطاحة بالحكومة بصورة صريحة أو رمزية أو مجازية. لكنهم لم يعثروا على شيء من هذا القبيل. كل ما عثروا عليه هو غلاف مجلة أسبوعية قديمة تظهر عليه فتاة جميلة تأكل وجبة طعام ماكدونالد.

طبعاً، لا أحد يعرف لماذا يحتفظ الحمار بغلاف المجلة هذا - هل من أجل صورة الفتاة أم من أجل سندويش المكدونالد، الله أعلم!

ومع ذلك ورغم أنهم لم يعثروا على "أدبيات ممنوعة" فقد قرر أفراد الشرطة مصادرة غلاف المجلة لغرض التحقيقات وكمستندات فوتوغرافية مادية وكبراهين حسية على الانحلال الخلقي والاغتراب الروحي ومخالفة الشرع وتقاليد المجتمع للحمار بتناوله لحم الخنزير أو أي لحم محرم.

[6]

كانت زوجة الحمار قد وصلت لتوها من اجتماع القرية بصحبة الحمار الوسيم[ابن الجيران] وحالما رأت قوات الشرطة أخذت تولول [لا أعرف كيف تولول الأتان، ولكن هذا ما قالته لي القطة المرقطة "إنها تولول"] وتبكي ولا تعرف ماذا تفعل. فالشرطة لم تعتقل الحمار، بل حتى لم يسأل أحد عنه. وظل **صاحبنا** يجلس في "غرفة العلف" مطأطئ الرأس وعندما سأل أحد أفراد الشرطة زوجة الحمار "هل هذا هو الحمار المعني" أجابت وهي تنحب:

- وهل ترى حماراً آخر غيره!

غادر أفراد الشرطة البيت تاركين المسكينة (زوجة الحمار) تبكي وتنحب نادبة حظها النحس.

[7]

في المعلف واصل الحمار تأمله وهو يراقب الضوء المتسلل من ثقب في السقف..

الآن أخذ شعاع الضوء يسقط تماماً على رأس الحمار. فكان النور يشكل هالة حول رأسه فيبدو الحمار مهيباً وجميلاً. بل حتى كأنه لم يكن حماراً في يوم ما! فرغم علامات القلق والإجهاد الفكري، فأن ملامح كاريزمية روحية مؤثرة كانت تظهر على وجهه الكريم!

كان يتأمل ويفكر، لكنه لم يكن خائفاً قطٌّ.

اقتربت منه زوجته بوجل ومازالت الدموع تنهمر من عينيها وسألته بشيء من الرجاء والحسرة:

- لماذا فعلت هذا يا "رجل"! أرجوك أخبرني لعلي أستطيع مساعدتك؟
- لم يكن أمامي حلٌّ آخر!
- هل أنت تمزح؟ كيف؟ أمامك آلاف الحلول ولم تختر إلا هذا الحل؟
- إنَّا لم نختره، لقد فرضه رب العالمين علينا ولم يعد أمامنا غير التحدي!

رد الحمار بصوت الواثق من قضيته. حينئذ مسحت زوجته دموعها بأكمام جلبابها المتهرئ وانفجرت صارخة:

- هل حصل شيء في دماغك يا حمار يا ابن الحمار؟ بل هل عندك دماغ؟ هل تفهم ماذا تخرف؟ هل تريد أن تتحدى ربك؟

- هو الذي بدأ "والبادي أظلم"! لقد هدر كرامتنا لا لسبب إلا لكي يضرب بنا الأمثال!

رد الحمار بهدوء.

- وهل تعرف إلى أين ستأخذنا كرامتك المهدورة ؟ إلى جنهم مباشرة. بل أن جهنم هي الآن هنا وسوف "تنخبط " على رأسك ورأس أبيك ، هل تفهم كلامي يا "رجل "!؟ نحن حمير وأصواتنا نكرة فهل تغيرت الأحوال بأذانك ؟

قالت زوجته منفعلة وهي تنظر إلى حمارها [أو زوجها ، لا فرق].

- هذا موقف! العين بالعين و "الأذان " بـ"الأذان "!

قال الحمار وهو يبتسم لأول مرة وقد عجبته فكرة "العين بالعين والأذان بالأذان" وظهرت أسنانه البيضاء من تأثير التبن.



- هل أنت تُخرِّف ؟

أطلقت زوجته صرخة مدوية ، وهي تلطمه على رأسه بكل ما تملك من قوة:

- ها أنت قد فقدت ذرة العقل الوحيدة التي كانت في رأسك ؟ هل تعرف المصير الذي ينتظرك ؟ أنت قد فَتَلْتَ الحبل الذي سيعلقونك به على نفس العمود الذي يعلق عليه القصاب ذبائحه الفاسدة في مركز القرية وستظل معلقاً عليها حتى تتعفن جثتك ويدب فيها الدُّود! إنهم لا يعرفون الله فهل تريد أن يعرفونك ؟!

- هذا موقفي! لا أحد يستطيع الهرب من مواقفه!

فقررت المرأة تركه هو ومواقفه المبدئية والجحيم الذاهب إليه وأخذت بعض المتاع والملابس وَنادتْ حميرها الصغار وغادرت المنزل متجهة إلى معلف **حمار الجيران الوسيم**.

أما حمارنا فقد ظل وحيداً كما ولدَ في معلفه منتظراً نهايته المتوقعة وهو ينظر عبر النافذة بحثاً عن الأمل.

في وقت ما بعد الغروب سمع طرقات متواصلة على الباب وصوت جلبة وصياح، ثم سمع صوت تهشم خشب الباب الخارجي ووقع أقدام وهرولة في باحة البيت.

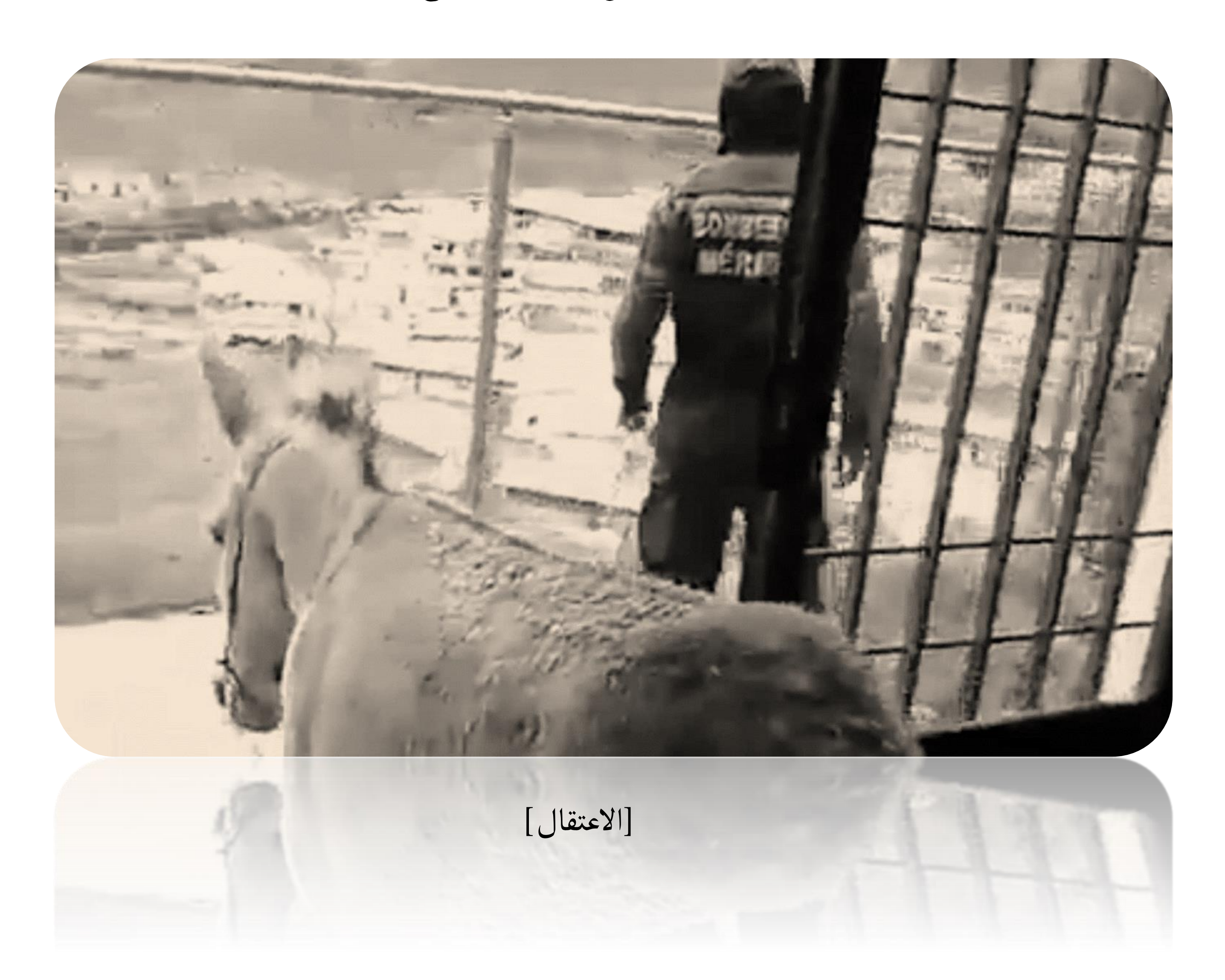
- ها قَدْ حانتِ السَّاعةُ، ليس في الأمر كذب أو إشَاعَة، أنها شناعة الشناعة، وعلي أن أحتمي بالشجاعة!

ردد الحمار مع نفسه.

وفجأة حلَّ الظلام . . .



[الفصل السادس]



[الاعتقال]

[1]

الاعتقال:

بعد سماع تهشم الباب الخارجي وتدفق أصوات عشرات الأقدام، ظهر أمامه رجال قوات الصاعقة وقوات العمليات الخاصة وقوات مكافحة الإرهاب وعشرات من أفراد الشرطة وقوات المشاة وقوات التدخل السريع والجميع مدججون بالرشاشات ومدافع الهاون وهم يصرخون:

- أين حمار الدار.. الحمار.. أين الحمار!

- أنا الحمار.

رد **صاحبنا** بهدوء وهو يحاول أن ينهض من معلفه.

- ما القضية يا أخوة!

لسنا أخوتك يا ابن الكلب! هيا تعال معنا!

- إلى أين يا أخوة ؟

- لنأكل بقلاوة ؟

قال أحد المسلحين الملثمين بسخرية ثم تقدموا نحوه وقيدوا يديه [هل هي يداه أم حافراه ؟)] وجرجروه



من المعلف باتجاه باحة البيت.

- إلى أين ستأخذونني يا أخوة ؟

- أنت فعلاً حمار! لسنا أخوتك يا ابن الكلب!

- لا تخف. كل شيء على ما يرام. إجراءات روتينية فقط. سوف نتحدث معك عند المختار وستعود إلى البيت بعد ساعة أو ساعتين إن شاء الله!

قال آخر مبتسماً.

[2]

لكنه لم يرجع لا بعد ساعة ولا ساعتين.

صاحبنا راح من غير صياح ونياح ولن يعود مهما كانت العهود!

فالرتل العسكري الذي تجاوز العشرات من المركبات العسكرية المدرعة المضادة للصواريخ اخترق ساحة القرية باتجاه الطريق السريع المؤدي إلى غرفة العمليات في معسكر قوات الصاعقة. وفي لحظات معدودة اختفى الرتل عن الأنظار وكأن شيئاً لم يكن. وعندما سألوا المختار عن الموضوع أجاب كالأهبل:

- أي موضوع ؟

- قوات الصاعقة والقوات الخاصة وقوات مكافحة الإرهاب؟

- هل أنتم تخرفون؟ هذي أضغاث أحلام يا مهابيل؟ هذا من تأثير مشاهدة الأفلام الأمريكية! سوف أقطع البث التلفزيوني حتى تتعلموا معنى الكلام! عودوا إلى بيوتكم ولا تتناقلوا الإشاعات!

وهذا هو كل ما حدث:

مجرد أوهام تحت تأثير مشاهدة الأفلام الأمريكية!

[3]

رغم قرارات الدولة وما بذلته من مساع كبيرة جداً[بل جبَّارة وهي مشكورة على ذلك] للتستر على "عملية" اعتقال الحمار التي شاركت فيها الكثير من أجهزة الدولة الأمنية كالشرطة وقوات الصاعقة وقوات مكافحة الإرهاب والبوليس السري والحرس الجمهوري وقوات التدخل السريع وقد حضره قائد القوات الشمالية ورئيس محطة التعبئة الغازية ورئيس هيئة النزاهة في البرلمان وغيرهم، فإن العديد من محطات التلفزيون والصحف الأوربية والأمريكية [الحاقدة] والمنظمات اللاحكومية والبث المباشر لمحطة الصومال الفضائية و "DW" و"CNN " و"BBC" وإذاعة صوت القرآن كانت تعرف بما حدث وتمَّ نشر العديد من الصور التي تكشف عن تواجد هذه القوات في قرية الحمار [لصعوبة لفظ اسم القرية الحقيقي فقد أُطلق على القرية في وسائل الإعلام العالمية، وخاصة في الإنترنت، اسم "Donkey village "].

بل تسربت الكثير من التفصيلات عن وقائع الاعتقال التي رفضت وسائل الإعلام الرسمية أن تأخذها "مأخذ الجد" واعتبرتها جزءاً من "الحملة الشرسة" على الأمة العربية والإسلام والتقدم الحضاري والإنجازات العظيمة!

[4]

واستناداً إلى المعلومات "**المسربة**" [كما تقول القطة المرقطة] اتضح بأنه في الليلة السابقة على اعتقال الحمار قد عُقد اجتماع سري للغاية "!" في إحدى القصور الحكومية حضره كل من: رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ورئيس هيئة الإفتاء الوطنية ومسؤول العلاقات الخارجية في الهيئة ووزير الداخلية وقائد القوات المسلحة وقائد قوات الصاعقة وقائد قوات مكافحة الإرهاب وقائد قوات التدخل السريع شخصياً وممثلون عن الإدارات المحلية لوزارة الداخلية ووزير الشباب واللجنة الأولمبية ومحافظ المدينة وأئمة الجوامع المحلية ومختار قرية الحمار **Donkey village** وبائع الحلويات في القرية وصاحب مطاعم "السعادة" في العاصمة ومدير المجاري العامة ورئيس مستشفى المجانين المركزي ومدير الإذاعة والتلفزيون وممثلون عن الهيئات والإدارات الحكومية ذات العلاقة!

كما وتسربت معلومات هامة عن مجريات الاجتماع "السري". إذ تشير هذه المعلومات بأنه قد حدثت مناقشات حامية و"ذات طابع علمي وفقهي صين" وطُرحت "مقترحات معاصرة ومتطورة" تتعلق بقضية الحمار وكيفية اعتقاله بدون إثارة وسائل الإعلام العالمية والبث المباشر لمحطة تلفزيون جزر القمر الفضائية.

وقد طُلب من رئيسة هيئة الإفتاء الوطنية [أو **القومية**] رأيه الفقهي بالموضوع وخصوصاً بما يتعلق بالسؤال التالي: هل يمكن شرعاً اعتقال حمار؟ وهل يمكن سجنه؟

[5]

وتشير المعلومات "المتسربة" (والعهدة على القطة المرقطة) أن رئيس هيئة الإفتاء وبعد مقدمة فقهية طويلة و"عميقة" جداً جداً، مما دفع البعض إلى" الغرقِ" في قِعْر غفوة لذيذة، وبعد أن عرض فيها الكثير من المستجدات في عالم الفقه والتفقه والصناعة قرر بأن ما قام به الحمار هو "بدعة" ما بعدها بدعة وإذا لم يُتخذ موقف حاسم وحازم وحاد وحدي (وصفات كثيرة تبدأ بحرف الحاء) فإن الأبواب ستفتح على مصراعيها أمام بدع أخطر وأسوء، من شأنها أن تشكل خطراً على الدولة والعقيدة والإصلاح الزراعي. إذ ليس من البعيد أن تطالب القطط بحقوق دينية مثلاً!

إلا أن الجواب المتعلق بالموقف من الحمار كان من أعقد الموضوعات الفقهية "في العالم!" **Super Answer**، فقد أشار الفقيه إلى "**أن أبدان الحمير والبغال طاهرة وهذا يعني بأنه لا حرج في أن تتواجد بيننا. كما اتفقت كل المذاهب على أنه لا يجوز قتل الحيوانات عمداً وبدون سبب. وهذا هو فصل الكلام: السبب يا جماعة!**

ولأنَّ السبب متوفر في حالة الحمار، وهو تشويه سمعة الدين وتعريض العقيدة لمخاطر كبيرة فإنه يجوز معاقبته حتى يكون عبرة لمن لم يعتبر"!

[6]

واستناداً إلى المعلومات **المتسربة** أو "**المسربة**" بأن الحاضرين لم يناقشوا موضوعاً آخر غير موضوع الحمار. وفي نهاية الاجتماع تم إقرار الخطة المفصلة لاعتقال الحمار بصورة "سرية للغاية" ومن غير إثارة الرأي العام العالمي ومنظمات الرفق بالحيوان ومنظمة الطاقة الدولية. أو كما عبر عنه مدير الإذاعة والتلفزيون [وهو خريج "الحوزة في قُم"] بقوله:

- يجب اعتقاله بصورة "دَمِثَة" (**ملاحظة من الكاتب: الدَّمَاثَة هي اللُطْفُ والرِّقَة**)!

وقد ختم رئيس الجمهورية كالعادة، الاجتماع السري بقولة:

- "أيها السادة، لا نريد حماراً يُصبح شهيداً. فلدينا الكثير من الشهداء"!

وقد أجمع الحضور على أهمية هذا الموقف. فهو يعبر عن سياسة راشدة وحكيمة، فمن يريد حماراً شهيداً؟

[7]

وكما اتضح فيما بعد وللجميع فإنه لم يبق من الاجتماع شيئاً **سرياً** (غير سعال رئيس الجمهورية من كثرة التدخين) ولا كان اعتقال الحمار هو الآخر سرياً "أو **دَمِثاً**". فقد شاعت أخبار الاجتماع والاعتقال ما بين الداني والقاصي. بل حتى القطة المرقطة من قرية الحمار التي تحدثنا عنها في يوم اجتماع القرية في الساحة المركزية

كانت على اطلاع واسع بالموضوع وهي كانت من مصادر معلوماتي الرئيسية في كتابة وقائع قصة الحمار هذه وقد بعثت لي Message بالمعلومات المستجدة. طبعاً كان لديها اعتراض على عنوان الحكاية. ففي رأيها أنه كان من الأفضل أن يكون العنوان: "**حكاية الحمار والقطة المرقطة وأشياء أخرى**"!



على أية حال، هذا موضوع جانبي ولا علاقة له بحكايتنا!

[8]

في اليوم التالي من تاريخ الاعتقال ساد في القرية جواً كئيباً وأصْبَحَ سكان القرية صبحهم، بشراً وكلاباً وقططاً وحميراً، بمزاج سوداوي جداً. فقد ظلت الدكاكين والمقاهي مغلقة. ولم يذهب المزارعون كعادتهم إلى مزارعهم. ولم تظهر زوجة المختار الصبية على عادتها على الشرفة المطلة على ساحة القرية الرئيسية تحت تكشف عن مفاتنها أمام المارة. بل لم ير أحد قطة أو كلباً يتمشى في شوارع القرية أو تتجمع أمام الدكاكين ومحلات القصابين لمناقشة أخبار القرية. الكائن الوحيد الذي تم مشاهدته من قبل القطة المرقطة هو شلحوت السريع[قنفذ إمام الجامع الذي يزوده بالأخبار] وقد مرَّ من أمام القطة المرقطة بسرعة حتى لم تتمكن من الاستفسار عن الأخبار.

أما الحمير فقد أَضْرَبَتْ عن الطعام والكلام وعادة الاستماع إلى الراديو والرد على السلام.

باختصار: كانت القرية في حالة **وجوم** جماعي شامل. لكن ما هو مثير لاهتمام المؤرخ أو كاتب السير هو أنَّ لا أحد يعرف السبب الذي يختفي وراء هذا الإحساس الكئيب.

[9]

قد يتبادر إلى الذهن، لأول وهلة، بأن السبب هو اعتقال الحمار. ولكن لم يخطر الحمار مطلقاً على بالِ أحد من القرية.

فهي (أقصد Donkey village)، ولله الحمد، مليئة بالحمير. حتى أن **نسبة الحمير إلى عدد السكان قد يصل إلى 1.33 حمار لكل واحد من سكان القرية**. وهذا يعني بأن العائلة التي تتكون من خمسة أفراد تمتلك **6.65 من الحمير**!

وهذا أمر غريب جداً. إذ أن زيادة الحمير على عدد السكان يجعل من القرية فعلاً وقولاً قرية الحمير Donkey village.

فما هو سبب هذا الحزن إذن؟

[10]

الأحداث الغامضة:

بعد أن رفض الجميع التعاون معي على حل هذا اللغز حتى القطة الصغيرة رمقتني بنظرة غريبة قائلة:

- هل أنت مُخَبَّل!

ثم اختفت بلمح البصر.

وهكذا كان عليَّ أن أتأمل الوقائع التي حصلت في قرية الحمار والقرى الأخرى وأن أربط ما بينها وبين النتائج الممكن حدوثها [استناداً إلى معرفتي بديمقراطية النظام!] كما عليَّ أن "أغربل" المعلومات التي وفرتها لي القطة المرقطة وأدرس نتائجها، لكي أخرج بنتيجة هي أقرب إلى الواقع من مجرد فرضية محتملة. فرغم مصداقية ما نقلته لي القطة المرقطة فإنَّ فيها الكثير من الفراغات التي يجب ملؤها بسبب أسلوب القطة المختصر والمختزل والسريع.

في تلك المرحلة حدثت الكثير من الأحداث الغامضة:

اختفاء أكثر من شخص من سكان القرى الأخرى، لأنهم رفضوا الصلاة علناً؛ تعذيب إحدى القطط السلفية لأنها صلت وحدها "صلاة الجمعة" لأنَّ الصلاة وراء إمام الجماعة الحكومي **باطل**.

وقد اعتبر أحد أئمة الجوامع هذا التصرف مخالفاً للدين. لأن صلاة الجمعة، كما قال، هي صلاة جماعة، فكيف تصلي القطة وحدها؟!؛

وعندما نشر أحد الصحفيين "**المغرر**" بهم من قبل أمريكا وإسرائيل والاستعمار البريطاني وقائع تعذيب القطة في صفحته على الإنترنت، اختفى المسكين بعد حين وتم إغلاق الصفحة بالشمع الأحمر [يوجد لون أحمر على الصفحة الفارغة]!

[11]

قبل أسبوعين من اعتقال الحمار وقعت أحداث أخرى أكثر غرابة:

فقد ادعت الحكومة بأن سكان القرى كما يبدو قد أخذوا يتعاطون الكحول ويجب معاقبة المخالفين لشرع الله. ومن ضمن الأحداث الغريبة هذه هو **اختفاء** إحدى القرى المجاورة!

بالضبط، لا يوجد خطأ مطبعي:

اختفاء قرية بكاملها من المكان الذي كانت تتواجد فيه!

فهناك من ادعى بأنهم قد سافروا للسياحة!

ومنهم من قال بأن الدولة منحتهم شققاً في بنايات جديدة ملائمة لتربية الماعز!

وتسربت أخبار، ما تزال غير موثقة، بأنَّ أهل القرية راحوا "في خَبَرِ كانَ"!

وعندما سألت القطة المرقطة حول الموضوع، هزت رأسها كالعادة وعلى طريقة أبطال الأفلام الهندية قائلة: هل أنتَ من سكان المريخ يا أستاذ؟

وعندما سألتها ماذا تقصد ردت عليَّ كسياسي "محنك":

- بدون تعليق!

فما هو سبب هذا الوضع النفسي التي تمر به قرية الحمار Donkey village ، وكما يبدو القرى الأخرى أيضاً؟

إنه الخوف من اقتراب الساعة!

لا، لا أقصد تلك "الساعة"، أقصد "ساعتهم" الأرضية. فسكان القرية، ككل البشر على الأرض، لهم ذاكرتهم القروية التاريخية. وإن ذاكرتهم التاريخية وتجاربهم تقول لهم أن المصائب تبدأ هكذا:

تعذيب قطة هنا، واختفاء حمار هناك، ثم اختفاء قرية بأكملها!

فمتى سيأتي دورهم يا ترى؟!

[12]

تقول آخر المعلومات [من مطلعين على مجريات الأمور في البلاد رفضوا ذكر أسماءهم] إن الحمار قد اقتيد إلى معتقل سري يقع في المنطقة الصناعية خارج المدينة لا يعرف أحد حتى من سكان تلك المنطقة بوجوده. وعادة ما تقتاد الدولة إلى هناك المعتقلين الذين لا عودة لهم بعد اعتقالهم!

المسكين مطيع الغائب، الحمار، راح ضحية الدفاع عن حقوقه المدنية ضد الإرادة الإلهية! كان عليه أن يعرف أنَّه في مملكة الظلام، والحديث في مملكة الظلام عن الحرية جريمة ما بعدها جريمة.

أما أخر ما كتبه الحمار في الإنستغرام فهي الجملة التالية:

"**نحن اليوم هنا وغداً هناك!**".

وقد أثارت هذه الجملة الكثير من التعليقات والتأويلات والتخمينات والتفسيرات في وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن، للأسف، لم يحصل إجماعاً حول الدلالات العميقة التي تختفي خلف هذه الجملة!

فهل يعني الانتقال إلى دار الآخرة، أم إلى المعتقلات السرية التابعة لأمن الدولة؟

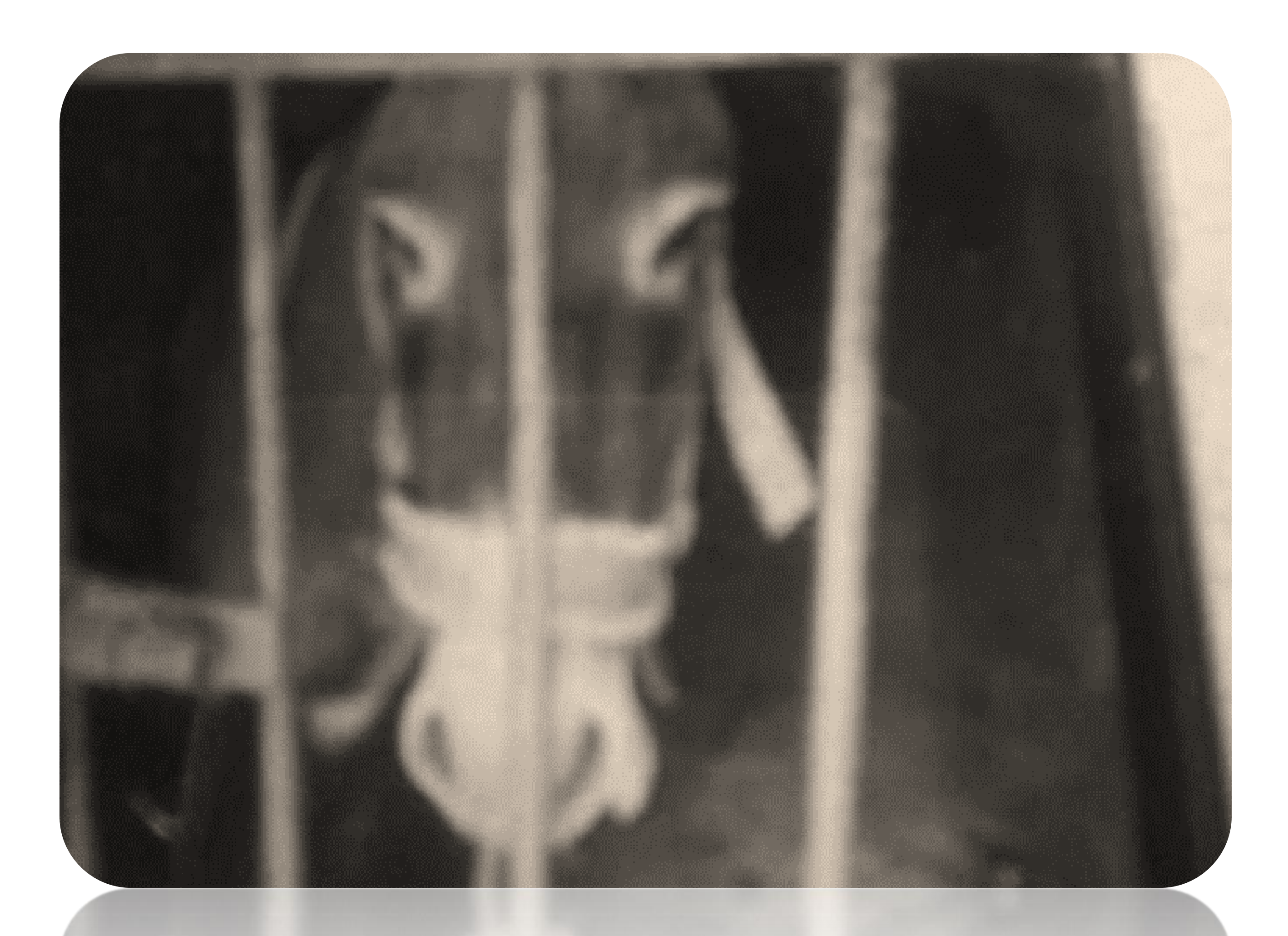
ولماذا اكتفى بهذه التعليق فقط؟

ألا يجوز أنْ يكون التعليق من قبل جهاز الأمن الذي استطاع اختراق [account] مطيع الغائب؟

فأين يا تُرى يقبع الآن حمارنا؟



[الفصل السابع]



[صورة التقطت من الأقمار الصناعية للحمار من داخل المعتقل السري!]

[1]

في المعتقل السري:

في وقت كان يستشعر فيه برودة ظلال بناية السجن المواجهة للساحة [ربما لم يكن يتعدى بعد وقت صلاة الظهر]، استيقظ [أو بكلمة أدق: فتح عينيه] على أصوات جلبة ووقع أحذية ثقيلة على الممر المكسو

بالبلاط والمؤدي إلى زنزانته الواقعة في نهاية الممر. ثم سرعان ما سمع صوت حزمة المفاتيح الثقيلة ومحاولة فتح باب الزنزانة الحديدي.

دخل ثلاثة رجال ملثمين بأُمْرَة مدير السِّجن، وهو رجل قصير القامة تبدو على خده الأيمن آثار ندب قديم وقد أُقتطع جزء من أرنبة أنفه، يقبض بشفتيه على سيجارة يتصاعد منها الدخان:

- انتهى وقت النوم، أستاذ!

قال مدير السجن بصوت مشروخ من تأثير التدخين بتهكم وعصبية وخشونة وكأنَّ بينهما عداوة قبلية قديمة من أيام داحس والغبراء، رغم المسافة الاجتماعية والروحية التي تفصله عن كائنات مثل الجياد!

الحق أنَّه لمن دواعي سروره أن يتعامل الآخرون معه كحصان .أو بكلمة أدق شيء (ما) يشبه الحصان. فهذا، على أية حال، شرف هو عاجز حتى أنْ يحلم به. ولكن هذا لا يعني أنَّ الأحلام لا تمرُّ عنوة بخاطره. فهو لم يقرر يوماً أمراً يتعلق بحياته، فكيف يكون بإمكانه أن يقرر ماذا ومتى يحلم؟ بل إنَّه لا يعرف حتى معنى "القرار".

إنَّه كما يقول العراقيون "**مُطِيعٌ** بحذف العين!" (تتضمن العبارة لعباً في الكلمات. فـ"المطيعُ بحذف العين" هو "المطي "، أي: الحمار كما يسميه العراقيون).

والأمر سواء بالنسبة له: **حُذِفَ أمْ لَمْ يُحذفْ هذا العينُ اللعين! فَهُوَ هُوَ**: أينما حلَّ وأينما رَحَلَ.

فإذ يدعون بأن "رب العالمين"، الرب المفترض الذي سقط الآن من حسابه، قد وَهَبَهُ جسداً وهيئة لا يمكن أن تغيرها الكلمات والأسماء. قد يختلف الأمر بالنسبة للآخرين، وقد يكون حذف هذا "العين" من عَدَمِه يُقَدِّم أو يُؤَخِّر شيئاً بالنسبة لهم، لكنَّ الأمر في حالته لا يعني الشيء الكثير: فنتائج حذف "العين" مساوية تماماً لبقائه. بل هما مترادفان يكاد يحلُّ أحدهما مكان الآخر: فسواء كان مطيعاً بحذف العين أو حماراً فقط، فالأمر سواء —فهما مترادفتان.

[2]

فالحصان، مثلاً، قد يُسمح له بأن يُتَّصَفَ بالجموح والتمرد حتى أنَّ صفة "الجموح" تضفي عليه شيئاً من النبالة والشرف. وإذا ما تَهَكَّم "الخالقُ" على صَوْتِهِ أمام عباده فإنَّ لصَهيل الحصان وجلجلته، رغم أنَّ صوتيهما قريبان من بعضهما في الشدة والارتفاع، وقعٌ محبب إلى نفوس الأنس والجن، ولا شكَّ إلى نفوس الملائكة أيضاً!

بل أنَّ للحصان أسماء وألقاباً لا عدَّ لها ولا حصر: فهو المشهورُ والمُنْكَدِرُ والسَّكْبُ والمرتجزُ واللحيفُ والبحرُ والوردُ والمُلاوحُ واللزازُ وغيرها الكثير. بل وللحصان أساليب مشي عدو وخبب ثم تبختر وغيرها!

أما بالنسبة له، كحمار، فإنَّ "الجموح" صعب المنال وهو من المستحيلات التي يمكن أن تؤدي به إلى حتفه. فمصيره التراجيدي الحالي لم يكن إلَّا لأنَّه تجرأ على الدفاع عن كرامته وصوته ضد تهكم "الخالق" ولا شيء آخر غير ذلك!

فما الذي كان يمكن "لا سمح الله" أن يحدث له لو خطرت على ذهنه فكرة جهنمية وهي أن يقرر، هكذا فجأة، أن يجمح!

فلماذا يحق للحصان ما لا يحق له ؟!

أهذا عدل عليه القبول به والخضوع له ؟

وربما هانَت القضية لو أنَّ الأمر قد اقتصر على امتلاك الحصان على هذا الحد من الرفعة والشرف. فالحصانُ قد كرَّمه رسول الخلق بذكره وحمده في أحاديثه، إذ قال بصريح العبارة ومن غير إيحاء أو إمارة:

-" الْخَيْل مَعْقود فِي نَواصِيهَا الْخَيْر إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة"!

ولهذا لم يتبق له غير الصفة الوحيدة التي سمح له بها "الخالق" الرحيم هي: العناد!

ولهذا لن يشفع له!

[3]

ولأنَّهُ تعلَّم الدرس ولم يعد يطرح الأسئلة، فإنه الآن يميل إلى قبول هذه الصفة على مضض رغم أنَّه عاجز عن أدراك مسوغاتها. فهو كان يعيش دائماً متواضعاً و"يمشي الحيط الحيط ويقول يا ربِّ الستر!"، وهو يسمع الكلام ويطيع الأوامر ويرفع الأحمال ما خفَّ منها وما ثقل، لا يردَّ إهانة مهين ولا يحتج على ظلم ظالم، يطيع طاعة عمياء حكم الولي ويردد صباح مساء: "**أنا العبد الضعيف الذليل الفقير المُهْمَل المطيع الصابر، عفيف العين واللسان، الشاكر لحكم الله في السراء والضراء، احتمل الأذى ولا اعتراض لي على ما يحلُّ بي، لا اختيار لي لما أحب أو قرار لي لما أكره**"!

فكيف يكون "عنيداً" والعناد من صفات المتجبر صاحب المُلك والجاه! إنَّهُ، وله من الحق ما يكفي لكي يتساءل، أبعد خلق الله عن العناد وأقرب إلى الطاعة من جميع العباد!

فهو قد يتسمر في مكانه ولا يتحرك لحظة لكي يسترد أنفاسه أو حين تجول في خاطره فكرة فيقف لحظة لتأملها أو يرى بهاء الخالق لكي يملأ صدره بالإيمان والامتنان له، لكنه لم يكن وما كان بإمكانه أن يكون عنيداً يوماً أمام حكم الله!

هو لم يفعل شيئاً غير أن قرر أن يؤذن (أو ينهق) بصوت عال، بعض الشيء، حتى يقول للناس بأن صوته لا يختلف عن بقية الأصوات!

ومع ذلك فقد أذله "ربُّ العالمين" وأطاح بكرامته.

ولهذا لقد مات "رب العالمين" ولم يتبق غير دعاء:

آمين!

[4]

الزنزانة:

كانت الزنزانة شبه مظلمة، إذْ لم يكن يضيئها غير الضوء المتسلسل من هوَّة ضَيِّقَة في أعلى الجدار المطلِّ على ساحة السجن. كان محيط الزنزانة يغرق في الظلام ومن الصعب على المرء، أو أيِّ كائن آخر، التأكد فيما إذا كان هناك نَزِيلٌ آخرُ غير **صاحبنا**.

على الأرض بجانب الحائط ثمة حصير قديم مصنوع من سعف النخيل وإناء معدني (من الألمنيوم) قديم متآكل، ربما يستخدم للطعام والماء "وأمور أخرى" على حد سواء، ولا شيء آخر.

هي غرفة مستطيلة لا يتجاوز عرضها المتر والنصف وطولها المتران، مظلمة جرداء باردة مهملة تقع خارج المكان والزمان والتاريخ، تقع في بناية لا وجود لها على خارطة المدينة، من غير رقم أو يافطة يُشير إلى وظيفتها والجهة المشرفة عليها، يحيط بها سور عال من الطابوق ومدخل حديدي صدأ.

هي هناك وليس هناك.

لا يعرف بها غير مَنْ هم فيها.

لا تثير اهتمام المارَّة في الشارع المُترب (ثمة بقايا هنا وهناك من أسفلت قديم) المحيط بالسجن وعلى مسافة مئة متر يقع جامع قديم ترتفع منه منارة سيئة البناء مطلية بطلاء أبيض يلوح من تحته آثار طلاء أخضر قديم. أمَّا في مساحة الأرض التي تمتد أمام بناية السجن في الجانب الآخر من الشارع الترابي فثمة مقبرة للسيارة القديمة والسكراب تحرسها كلاب مربوطة عند المدخل من غير أنْ تلوح أثار لأشخاص، عمال أو حُرَّاس.

تحت شمس أواخر تموز المحرقة كان يتلظى كل شيء:

الحديد والطابوق وأرضية الشارع الترابي والهواء وتكاد أرواح البشر والحيوانات والملائكة والجن تزهق من شدة الحرِّ.

لا أشجار تخفف وطأة الحر ولا ظلال لبنايات عالية يمكن للناس أو الكلاب أن تلتجئ إليها.

إنَّها جهنم الموعودة!

مرحبا بالجميع!

[5]

تأملات حمارية حول التفكير والوجود:

في مثل هذه الظروف قد يحلو لرواة القصص القول "بأنه حين سمع صوت مدير السجن الأجش يجلجل في أرجاء الزنزانة "انتهى وقت النوم!" قد نهض **صاحبنا** من السرير متثاقلاً بعض الشيء وعدَّل من وقفته منتظراً أوامر أخرى".

غير أنَّ هذا لم يحدث وما كان له أن يحدث. إذ أنَّ **صاحبنا** كان واقفاً مطأطأ الرأس وكأنه رأسُ دمية يتدلى من خيط غير مرئي.

لم يكشف عن أي نوع من المشاعر الخارجية ولم ينبس ببنت شفة، بل حتى أذناه الطويلتان كانتا تتدليان كرأسه بخشوع كخشوع المتعبد أمام قبر إمام أو ولي مصطنع!

لم يكن يبدو عليه الخوف أو القلق.

كان هادئاً، أو هكذا كان يبدو.

الحق أنَّه هادئ الطبع، "دمث"، لا يُحِبُّ أنْ ينشغل الأخرون به ولا ينتظر منهم عبارات الإعجاب أو أنْ يربتون على كتفه تعبيراً عن الودِّ والرضى. هو راض عما هو فيه؛ لا يسعى لكسب العطف على حاله ولا الحصول على مكافأة على عمله.

هكذا كان دائماً، وهكذا هو الآن في لحظاته الأخيرة.

هل كان يفكر؟

[6]

من الصعب القول ذلك.

وليس السبب فيما يشيع عنه بأنه لا يحب التفكير أو أن التفكير ليس من صفات جنسه.

هو لا يفكر لأنه ليس من النوع الذي يتفق مع مبدأ ديكارت "أنا أفكر، فأنا موجود"! إنَّه لا يجرأ على الادعاء بمجادلة الفلاسفة، ناهيك عن رجال الدين، لكنه يعرف من التجربة المُرَّة بأن الوجود أمر ملتبس للغاية.

ماذا يعني الوجود بالنسبة له حين يكون غائباً عنْ كُلِّ ما يسم الوجود المعاصر؟

فهو من غير وثائق رسمية تثبت تاريخ ولادته وعنوان أقامته ومهنته!

وهو خارج قوائم الانتخابات!

بل هو ممنوع من السفر واستخدام وسائط النقل البرية والبحرية. أما إمكانية السفر بالطائرة فهي من المستحيلات الوجودية!

إنَّه يعملُ ويكدُّ أكثر من أيِّ فرد في المجتمع. لكنه خارج المجتمع! فالأخير يتكون من مواطنين يخضعون للقوانين السَارِيَة في البلاد ويحق لأكْسَلِ الكُسَالى وأكثرهم تفاهة أن يقرر مصير البلاد، على الأقل شكلياً، الاقتراع واختيار ممثلي البرلمان.

أما هو فلا حقوق له .عليه واجبات لا يمكن عدها ولا حصرها ولكن من غير حقوق. فالحقوق التي تقرها الدولة هي لصالح أفراد المجتمع (إن استطاعوا الحصول عليها!) وهو ليس فرداً من هذا المجتمع.

ولهذا فَقَدْ فَقَدَ حاسة التفكير تدريجياً حتى وصل حَدَّاً أصبح التفكير يُشَكِّلُ خطراً على حياته. بل أنَّ هذا الخطر أصبح واقعاً لا مهرب له ولا مناص منه. وهذا ما كانت تردده زوجته دائما وأبداً: **لا تفكر، فالتفكير بلاء!**

فهذا هو الدرس:

التفكير يؤدي إلى الشكِّ، والشكِّ يؤدي إلى السؤال، والسؤال يؤدي إلى الاعتراض والاعتراض يؤدي إلى الهاوية، وهذا هو منطق: "أنا أفكر، فأنا موجود"!

هو لم يفكر ولم يرفع صوته اعتراضاً إلَّا مرَّة واحدة وها هو ينتظر حتفه في زنزانة تقع في معتقل لا وجود له على الخارطة ونهاية لن يعرف بها أحد غيره!

[7]

ولأنَّ انتظار مدير السجن قد طال أكثر مما يحتمله وأخذ رجال الشرطة الملثمين يتململون في أماكنهم كتلاميذ يتنظرون جرس المغادرة فقد قرر رفع رأسه على عادته ببطء وتؤدة. حينذاك رآهم للمرة الأولى ينتصبون أمامه كتماثيل من الحجر.

أجال بنظره في أرجاء الزنزانة حتى وقع نظره على الهوة الصغيرة في أعلى الجدار المطل على الساحة.

- لابد أنَّ وقت الصلاة قد حان!

قال **صاحبنا** مع نفسه وكأنَّ "الصلاة" هي همه الوحيد ومشكلته الأخيرة!



[الفصل الثامن]



[بعد إطلاق سراحه من سجون أمن الدولة]

[1]

قرار الاتهام:

بعد اعتقال الحمار صدر عن " المدعي العام" [الذي يعاني منذ سنوات من مرض البواسير] قرار اتهام ضد الحمار أثار تساؤلات واعتراضات الكثير من العاملين في مجال القانون.

تنص جميع الدساتير والقوانين الجنائية وجميع مبادئ القانون الدولي المتفق عليها من قبل جميع رجال القانون بأنَّه:

1. لا جريمةَ من غير مجرم ولا مجرمَ من غير جريمة.

2. لا يمكن اعتبار الفاعل مجرماً إذا لم يكن قادراً على فهم وإدراك نتائج الفعل أثناء ارتكاب الفعل. ولهذا فإنَّ الأشخاص الذين لم تتجاوز أعمارهم سن الرشد لا يمكن تجريمهم بنفس الشدة التي يتم تجريم الشخص البالغ لنفس الفعل الجرمي المرتكب من قبل الاثنين. أمَّا المجانين والأشخاص الذين يرتكبون فعلا جرمياً بسبب غياب مؤقت للمدركات العقلية، لسبب أو آخر، فلا يمكن تجريمهم. فإدراك طبيعة ونتائج الفعل الجرمي من المقومات الأساسية للجريمة.

3. لا يمكن تجريم الحيوانات على ارتكاب أفعال مادية أو معنوية بغض النظر عن درجة تطور النوع الذي تنتمي إليه هذه الحيوانات. لأن الحيوانات، وخلافاً للبشر، لا تمتلك مَلَكَة الشعور بالذنب وهو الشعور المميز للإنسان البالغ الواعي والمدرك لتصرفاته الشخصية وللنتائج المترتبة عليها. إذ لا يمكن تطبيق مبدأ المسؤولية الشخصية على غير البشر.

هذا ما يتعلق بالجرائم الجنائية التي يكون فيها موضوع الجريمة واضحاً لا لبس فيه.

أمَّا أنْ يطرح الإنسان (أو أيُّ كائن آخر) سؤالاً سواء كانَ موجهاً إلى الآلهة (وأياً كانت هذه الآلهة) أو إلى الدولة التي تؤمن بهذه الآلهة فإنه حقٌّ تنص عليه جميع القوانين والمعاهدات الدولية ووثائق الأمم المتحدة والتي تم التوقيع عليها من قبل جميع الدول العربية. فهذا واحد من أبسط الحقوق المدنية [أو الحيوانية] التي لا يمكن تجريم الناس بسببها.

ولكن ماذا عن الكائنات الأخرى التي هي من خارج الجنس البشري؟

إنَّ القوانين المدنية (الوضعية) لا تنص على أية إجراءات قضائية أو ملاحقة قانونية ضد "غير البشر" [والحيوانات كائنات من غير البشر رغم وجود بشر أكثر تعاسة من الحيوانات] إلَّا إذا كانت الأخيرة تشكل خطراً واقعياً مباشراً على صحة وحياة البشر.

ولهذا وإذا كان يحق للإنسان التعبير عن رأيه [إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً في مملكة الظلام!] فإن الحمار هو الآخر له ذات الحق [إذا أستطاع إلى ذلك سبيلاً أيضاً] ولا توجد في القوانين ما يعارض هذا الحق.

[2]

فما هي الدواعي التي دفعت ممثل الادعاء العام [الذي يعاني من البواسير] إلى تقديم "**صاحبنا**" للمحكمة؟

رغم النهاية المأساوية التي انتهى إليها الحمار فإنَّ ملف القضية يخلو من أية إشارة محددة إلى طبيعة الفعل المرتكب أو أدلة مادية على اقتراف جريمة ما من قبل المسكين غير رغبته في معرفة الأسباب التي دعت "رب العالمين" إلى أن يُشَهِّرَ به في "كتابه" المفترض. بل هو حتى لم يعترض، لا من قريب ولا من بعيد، على "الكتاب" نفسه. وهذا ما يتضح مثلاً في قرار الاتهام الذي تم نشره من قبل الصحف البريطانية وهذه نسخة طبق الأصل عن القرار:

قرار اتهام :

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

في القضية رقم (11ف76543321) لسنة 2009 والمسجلة تحت رقم (75654323) 2009

بعد الاطلاع على ملف الشرطة في القضية [رقم (11ف7654787877653321) لسنة 2009] واستجواب الشهود والاطلاع على **اعتراف المتهم الخطي** "!" وبعد أنْ **يأس** ممثل الادعاء العام من تثبيت شخصية المتهم (الذي رفض الإخبار عن اسمه الصريح بحجة وروده في "الكتاب") واستناداً إلى المادة 213450، الفقرة (34666) و(7456) من قانون محاربة الشعب المعدل لعام 2001 وبعد أن تبين أنَّ **المتهم وفي وسط سوق الخضروات الواقع في [Donkey village] عبَّر علناً وصراحة ومن غير رهبة ولا اعتبار للقيم الاجتماعية والدين الحنيف والأخذ بعين الاعتبار مشاعر الأطفال وأمام الباعة وزبائن السوق عن شكوكه بعدالة الخالق واستغرابه من ذكر "الكتاب" له بصورة مسيئة واستهجانه لآراء لُقْمَان الحكيم وعدم أهليته للبتِّ في أمور تتعلق بعلم الأصوات وجماليات الخطب،**

ونظراً لخطورة هذا الفعل الشائن على أسس المجتمع وأركان الدين وتهديده لأمن الدولة وتشجيعه للقوى الإمبريالية وإسرائيل المعادية للعرب والدين الإسلامي وبما إنَّ المتهم لم ينكر جريمته الشنعاء وإصراره على غلوه واستهتاره ومن أجل قطع دابر الكافرين وقطع الطريق أمام المحاولات الفاشلة لأعداء الديمقراطية والحرية في بلادنا ومحاولات إعاقة المنجزات الحضارية التي لا مثيل لها في العالم بسبب العقول النيرة لأبناء الوطن والقيادة الرشيدة الشجاعة ونظراً لأنَّ المتهم سبق وأنْ طرح شكوكاً علنية ومن غير ذرة من الخجل بخصوص عدالة الدولة والدين ..

فقد قررت هيئة الادعاء العام ما يلي:

1. تقديم المتهم المشار إليه إلى محكمة الجنايات بتهمة الشغب وخرقه لعادات وتقاليد المجتمع وعدم احترامه للدين الحنيف.
2. مصادرة حقه في الانتخاب والترشيح للمناصب الحكومية (وخصوصاً رئاسة الجمهورية).
3. مصادرة أملاكه المنقولة وغير المنقولة.
4. إيداع المتهم الحبس المؤقت غير المشروط لغرض المزيد من التحقيق القضائي والتأكد من عدم وجود متعاونين معه (داخل أو خارج البلاد).
5. تجميد حسابات المتهم في المصارف المحلية والعالمية وكذلك السندات المالية.
6. سحب جواز سفر المتهم ومنعه من السفر حتى الانتهاء من التحقيقات.

والله ولي التوفيق.

<u>**م. النائب العام**</u>

[3]

مناجاة:

كان الألم يَعْصُر قَلْبَ **صَاحِبِنَا** وتتغلغل في لسانه مرارة اللَّوم والعَتَب. والعَتَبُ لا يكون إلا على الأحبة. فالعدو لا يلوم ولا يعتب، والعدو لا يبكي من فرط الحبِّ ولوعة الفراق:

"فأنتَ الحبيب الغالي،
وأنت المعبودُ
وأنت الإله العالي
قد أشكُّ يوماً،
لكنكَ تعرف حالي،
مطيعٌ،
خاشعٌ،
متخشعٌ
حيوانٌ مثالي!"

هكذا كانّ يناجي ربَّه ولكن هل من سميع عليم؟ وهل من رحمن رحيم؟

لمْ يرفعْ رأسه يوماً أمام الخالق، فكيف وهو العبدُ الفقير الذي لمْ ينكر فضله عليه ولم يَكُفَّ لحظة أن يكون "خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" .. يطأطأ رأسه إجلالاً وعرفاناً لما يعتاش عليه من فضلات إصطبل الخيل لمالكه وللهواء النتن الذي يستنشقه ليل نهار!

ألم يقل في كتابه " وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ " فَسَجَدْتُ كما أراد [رغم أن سجوده أمر صعب للغاية من الناحية التقنية]، وما يوماً استكبرتُ على إرادته وهو عالم بذلك، ألم يقل في "كِتَابِه" بأنَّه " لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ"، فلماذا خفي عليه إيماني؟

ولماذا سمح لعباده ظلم معبوده؟

تساءلت، مجرد تساءل يا أخي: لماذا تحتقرني وتشهر بي بين الناس؟!

لقد تساءلت، مجرد تساءل، عن مغزى سخرية "لُقْمَانِك" هذا بأجدادي وبي شخصياً ولم أفعل شيئاً آخر، وها أنا بين قاب قوسين من نهايتي!

فأي جرم قد اقترفت؟! وأي قانون خرقت؟!

فكرْ يا أخي!

ألا تسمع كيف يغني ذلك الأهبل، ابن التاجر الذي أعمل عنده، الذي يعيش في الطابق العلوي؟ فهل تحسب غناءه غناءً وصوته صوتاً؟ ألا تستنكر صوت الرؤساء والوزراء ومذيعي الإذاعة والتلفزيون؟ أين حكيمك الفذ "لُقْمَان" الخبير بعلم الأصوات وتقنيات فن الإلقاء المسرحي؟

لماذا لا يقوم بتحليل أصوات البشر وهم يزعقون وينادون بالموت لكل من ينحرف عن السراط المستقيم؟

لماذا لا يدلو بدلوه فيما يحدث في ساحات المدن العربية وصراخ المتظاهرين وهتافاتهم ضد جور السلطان وظلام الحُكْمِ وأحكام الظلام؟

كنت طول تاريخ وجودي المديد صامتاً فجعلوا من صمتي شيئاً لم أكنه!

فحضرة جنابك، واسمح لي بتوجيه النقد لك واللوم عليك فما عدت امتلك إلَّا دقائق حياة، لا تستسيغ أنْ يمتلك البشر معارف تجعلهم في مصافك. ولأنني لستُ بشراً فإنَّ المعرفة تتناقض مع مكانتي عندك وعند عبادك. أنتَ لا تريد أن يعرف العباد الوقائع حق المعرفة حتى لا يصلوا إلى حقيقة الأشياء: لا شيء آخر غيرك، ما أنتَ إلَّا هُمْ، وما هُمْ إلَّا أنتَ!

فهم الصانعُ والعابدُ لِمَا صنعوا فبأس الصانع والصنعة والمصنوع!

فهل تساءلت أنتَ، مثلما تساءلتُ أنا، كيف تقوم قائمتك بدوني؟

إن سر الربوبية هو كونها تتوقف على المربوب. فما الذي يحدث إن انعدم المربوب؟

أنا أنا، مثلما أنتَ أنتَ، مهما كنتَ ومهما أكونُ، فإنا لست إلا كائناً، لا من الناسوت وأبعد ما أكون عن اللاهوت.

إنَّا نأنكر وجودك!

فما أنت إلا وهمٌ وسراب...

[4]

المحاكمة [أو المهزلة]:

- "**ما هي جريمتي**"؟

كرر عشرات المرات أمامَ مدير الشرطة والمحققين وقاضي التحقيق وكل الجهات الرسمية التي نظرت في قضيته. لم يطرح **صاحبنا** إلا سؤالاً واحداً وحيداً لا غير:

-" **هي جريمتي ما** ؟"

إلَّا أنَّ الجميع [مدير الشرطة والمحققين وقاضي التحقيق وكل الجهات الرسمية التي نظرت في قضيته] قد رفضوا بصراحة أو باللف والدوران الإجابة على سؤاله! وهذا ما أخرج **صاحبنا** عن طوره ودعاه مرة إلى الصراخ (إذا ما سَمَّيْنَا نهيقه صراخاً!) في قاعة المحكمة وهو الأمر الذي دفع القاضي أنْ يؤمر رجال الشرطة بإخراجه من قاعة المحكمة واقتياده إلى السجن، ثم واصل القاضي وممثل الادعاء العام [الذي يعاني من البواسير] مناقشة القضية بدون حضور المتهم بكل أمانة قانونية واحترام للأصول المرعية الواردة في قانون أصول المحاكمات والإجراءات القانونية!!!

[5]

ولكنْ حين أذاعت محطة "صوت أوربا الحرة" وقامت محطة التلفزيون الأمريكية "CNN" بتغطية أخبار ما حدث في جلسة مناقشة القضية في محكمة الجنايات -الدائرة الثانية **اضطرت** **الحكومة** إعادة النظر في القضية بحضور المتهم [لاحظوا: **اضطرت** الحكومة إلى إعادة مناقشة القضية بحضور المتهم]!

في هذه الأثناء تعرض الحمار للتعذيب في سجن المحكمة. فقد كان المحققون وممثل الادعاء العام [الذي يعاني من البواسير] يطالبونه بالاعتراف بالجرائم الموجهة ضده وسحب مواقفه السابقة. وعندما قررت الحكومة إعادة النظر في القضية تم استدعاء صاحبة "صالون الأفراح" للحلاقة المتخصصة بمكياج العرائس بعمل مكياج للحمار حتى لا تلاحظ وسائل الإعلام آثار التعذيب.

[6]

وهكذا تم إعلان تاريخ جديد لمناقشة القضية.

وفي اليوم المحدد للجلسة تم جلب المتهم مكبلاً بالسلاسل وسط جمع غفير من الصحفيين والمصورين الفوتوغرافيين والتلفزيونين وممثل عن مفتي الدولة والخبير العسكري في حرب العصابات في وزارة الأوقاف ورئيس قسم الإنعاش في مستشفى الطوارئ ورجال الإطفاء ومجموعة من التلاميذ من المدرسة القريبة ومختار القرية التي ولد فيها وممثلين عن الطوائف الدينية الأخرى ووزير الرياضة والشباب ورئيس الخدمة المدنية وفريق كرة القدم للمحلة التي كان يعيش فيها ورئيس الطباخين في "فندق السعادة" ومسؤول مصلحة نقل الركاب والكثير من المهتمين بشؤون الرياضة والسياحة وحضرتي شخصياً.

كانت القاعة تغص بالناس تماماً والمروحة السقفية بدلاً من أن تقوم بتحريك هواء القاعة بعض الشيء كانت تنفث سموماً ومن مكان ما كانت تتصاعد رائحة كريهة لا تحتمل ممزوجة برائحة العرق وأفواه الحضور.

فنهض المدعي العام [الذي يعاني من البواسير] وشرع بتلاوة قرار الاتهام "حسب الأصول". وبعد أن انتهى من التلاوة توجه إلى القاضي قائلاً:

- سيادة القاضي، كما ترى، قمنا بكل الإجراءات "**الشكلية**" وحسب **القواعد** **المرعية** ولا توجد الآن أية **عوائق** **قانونية** لمتابعة الجلسة.

- ما هذه الرائحة الكريهة؟

سأل القاضي أفراد الشرطة المحيطين بالمتهم.

- من الأخ سيادة القاضي!

أجاب أحد أفراد الشرطة وهو يشير إلى الحمار.

- افتحوا الشبابيك! هل نحن في إسطبل أمْ في قاعة محكمة!

قال القاضي متذمراً وهو يمسح عرقه المتصبب من صدغيه المنتفخين. وبعد أن تنحنح عدة مرات وهو يتململ على كرسيه الوثير بحثاً عن وضع مريح للجلوس نزع نظارته ووضعها على المنصة أمامه، ثم تنحنح من جديد وبعد أن جّهَزَّ صوته جيداً للكلام وبسمل متوكلاً على الله توجه إلى المتهم قائلاً:

- والآن يا ... . آ آ.. واضح، اسمك مذكور في "الكتاب"، هل لديك ما تقوله ؟

[7]

للأسف لم يكن لدى الحمار ما يقوله لأنه كان عاجزاً عن الكلام بسبب التعذيب. وكل ما استطاع القيام به هو مجرد محاولة للكلام هازاً رأسه إلى اليمين واليسار فبدا وكأنه يرفض الكلام.

فتوجه القاضي إلى الحضور قائلاً:

- كما تلاحظون ليس لدى الحمار ما يقوله. ولهذا أدعو من الله تعالى أن يسدد خطانا لمصلحة الأمة والمواطن وأعلن عن رفع الجلسة من أجل دراسة ملفات القضية والاطلاع على إفادات الشهود واعترافات المتهم ومن ثم إصدار حكم عادل وفقاً للقانون والأنظمة المرعية في البلاد.

وهكذا تم رفع الجلسة واقتيد الحمار من قبل مجموعة من الشرطة إلى سجن التحقيقات في دائرة الأمن العام.

لقد تضاربت الآراء والتوقعات حول قرار المحكمة المنتظر. إلا أن القطة المرقطة التي حضرت الجلسة هي الأخرى قالت لي بالحرف الواحد:

- **انتهى الموضوع!**

- ماذا تعنين ؟

-سوف يتم إطلاق سراحه. هكذا هي التقاليد!

-هل أنت متأكدة ؟

-طبعاً. **لقد حكم عليه بالإعدام!**

-ألا تقولين بأنهم سيطلقون سراحه ؟

-نعم. وهل تريد أن يقتلوه في السجن ؟ إن دماغك مربك يا أخي بسبب ثقافة الغرب! متى ستفهم ؟!

ثم اختفت كالعادة ولم أنتبه من أين خرجت.

[8]

وبعد أن قمت بمراجعة سيرة الكثير من الأشخاص المتهمين بقضايا سياسية ودينية مختلفة اتضح أن القطة المرقطة كانت على حق:

إذ أن أغلبيتهم قد قضى مصرعه بعد فترة وجيزة من إطلاق سراحهم نتيجة لأحداث غامضة وذات ملابسات شائكة ومشبوهة تشير إلى يد المخابرات والأجهزة السرية الحكومية.

فمنهم من سقط من الطابق السابع؛ ومنهم من دهسته سيارة مسرعة على الرصيف؛ ومنهم من مات بالسكتة القلبية؛ ومنهم من انتحر لأسباب عاطفية كما صرح مدير شرطة العاصمة .. وهكذا!

فما الذي سيحدث **لصاحبنا**؟

هذا ما سيكشف عنه المستقبل القريب!



بسم الله الرحمن الرحيم
أمام قاضي محكمة الجنايات الثانية

المحكمة الخاصة

رقم القضية:	رقم (11ف76543321) لسنة 2009
أمام القاضي:	
رئيس قلم المحكمة:	
تاريخ صدور المستند:	2009/6/12
الجهة المودعة:	الادعاء العام
اللغة الأصلية:	اللغة العربية
نوع المستند:	علني

قرار اتهام

المدعي العام
ضد
الحمار (مجهول الاسم)

في القضية رقم (11ف76543321) لسنة 2009 والمسجلة تحت رقم (75654323) 2009

بعد الاطلاع على ملف الشرطة في القضية [رقم (11ف7654777653321) لسنة 2009] واستجواب الشهود والاطلاع على اعتراف المتهم الخطي "!" وبعد أنْ يأس ممثل الادعاء العام من تثبيت شخصية المتهم (الذي رفض الإخبار عن اسمه الصريح بحجة وروده في "الكتاب") واستناداً إلى المادة 210، الفقرة (6) و(7) من قانون محاربة الشغب المعدل لعام 2001 وبعد أن تبين أنَّ المتهم وفي وسط سوق الخضروات الواقع في [Donkey village] عبَّر علناً وصراحة ومن غير رهبة ولا اعتبار للقيم الاجتماعية والدين الحنيف والأخذ بعين الاعتبار مشاعر الأطفال وأمام الباعة وزبائن السوق عن شكوكه بعدالة الخالق واستغرابه من ذكر "الكتاب" له بصورة مسيئة واستهجانه لأراء لُقْمَان الحكيم وعدم أهليته للبتّ في أمور تتعلق بعلم الأصوات وجماليات الأداء المسرحي ونظراً لخطورة هذا الفعل الشائن على أسس المجتمع وأركان الدين وتهديده لأمن الدولة وتشجيعه للقوى الإمبريالية وإسرائيل المعادية للعرب والدين الإسلامي وبما إنَّ المتهم لم ينكر جريمته الشنعاء وإصراره على غلوه واستهتاره ومن أجل قطع دابر الكافرين وقطع الطريق أمام المحاولات الفاشلة لأعداء الديمقراطية والحرية في بلادنا ومحاولات إعاقة المنجزات الحضارية التي لا مثيل لها في العالم بسبب العقول النيرة لأبناء الوطن والقيادة الرشيدة الشجاعة ونظراً لأنَّ المتهم سبق وأنْ طرح شكوكاً علنية ومن غير ذرة من الخجل بخصوص عدالة الدولة والدين فقد قررت هيئة الادعاء العام ما يلي:

1. تقديم المتهم المشار إليه إلى محكمة الجنايات بتهمة الشغب وخرقه لعادات وتقاليد المجتمع وعدم احترامه للدين الحنيف.
2. مصادرة حقه في الانتخاب والترشيح للمناصب الحكومية (وخصوصاً رئاسة الجمهورية).
3. مصادرة أملاكه المنقولة وغير المنقولة.
4. إيداع المتهم الحبس المؤقت غير **المشروط** لغرض المزيد من التحقيق القضائي والتأكد من عدم وجود متعاونين معه (داخل أو خارج البلاد).
5. تجميد حسابات المتهم في المصارف المحلية والعالمية وكذلك السندات المالية.
6. سحب جواز سفر المتهم ومنعه من السفر حتى الانتهاء من التحقيقات.

والله ولي التوفيق.

م. النائب العام

[نسخة مصورة من قرار الاتهام]

[الفصل التاسع]



[آخر صورة لمطيع الغائب]

[1]

قرار الحُكْم:

لم يمض أكثر من أسبوع على جلسة المحكمة الأخيرة التي نظرت في قضية الحمار نشرت الصحف الحكومية الرسمية خبر إطلاق سراح الحمار بكفالة مالية قدرها 100000 دولار أمريكي وتعهد خطي بعدم التدخل في السياسة والامتناع عن مناقشة الأمور الدينية التي تمس الذات الإلهية وسمحت له بالصلاة خمس مرات في اليوم على شرط عدم حضور صلاة الجمعة.

وقد نشرت إحدى صحف الحكومة **المستقلة** صورة للحمار وهو يغادر سجن التحقيقات وقد قدم له أحد الشرطة باقة من أزهار الورد الأحمر بمناسبة إطلاق سراحه!

[2]

الحرية الوهمية:

عندما خرج **صاحبنا** من المعتقل ووطأت "أقدامه" أرض الشارع المبلط مرت بمحاذاته وكالصاروخ سيارة خاصة سوداء بدون رقم. فتسمر في مكانه متابعاً السيارة السوداء وهي تختفي عن أنظاره.

لم يولِ الأمر أية أهمية، على عادته، فقد كان مبتهجاً لخروجه من السجن. رفع رأسه عالياً وهو يستنشق هواء الصباح بملىء رئتيه.

فكر بزوجته وأطفاله. . .

كان الشوق إليهم يحرق قلبه فسالت الدموع من عينيه وأخذ ينحب بأعلى صوته [للأسف فهم المارة بكاءه بصورة مغلوطة. فهم كانوا يعتقدون بأنه ينهق!].

لم يكن يدرك ما الذي يحدث حوله.

ولأنه كان قادراً على التفكير والتأمل في أي نقطة من المكان والزمان فقد كان متسمراً في وسط الطريق قاطعاً السير حيث تشكل طابور طويل من السيارات التي ينتظر سائقوها أن يعبر **صاحبنا** الشارع ويحرر الطريق. فأسرع بعبور الشارع وكادت إحدى السيارات تدهسه وقد أخرج السائق رأسه من نافذة السيارة صارخاً بأدب "**جمّ**":

- هيه يا حمار، هل هذا وقت الحمرنة ؟!

- وهل تبقى شيء من الحمرة ؟!

ردد **صاحبنا** مع نفسه ثم تنبه إلى باقة زهور الورد الأحمر التي كان يقبض عليها بأسنانه فرماها تحت قدميه وأنطلق باتجاه القرية.

[3]

لم تكن القرية [Donkey village] كما كانت عليه قبل اعتقاله.

لقد تغير كل شيء. وكما تقول القطة المرقطة [نقلاً عن هيراقليطس]: "لن تنزل النهر مرتين".

إذ كل شيء يتغير .. كل شيء يتحول. لكن مشكلة هذه القرية المستحيلة التي لا وجود لها على خارطة العالم هي أنها تتغير باستمرار إلى الأسوأ حتى أنَّ الشعور باقتراب الكارثة يلفُّ الجميع.

تسلقت القطة المرقطة منارة جامع القرية الذي بني على عجل حتى يتم افتتاحه في يوم "المولد النبوي". وقد كانت على ثقة بأنَّ هذه المنارة سوف تتهاوى في يوم ما وقد تهاوت فعلاً.

كانت القطة المرقطة شاهدة على تاريخ بناء المنارة ورأت "بأمّ عينيها" كيف تم إنجازه من مواد البناء الرخيصة، مثلما كانت شاهدة على مطالب الشحات إمام الجامع الأحول المستمرة أنْ يقتصد العمال باستخدام

السمنت. فقد كان إمام الجامع الأحول يكره التبذير جداً حتى كان يتمنى أنْ يتم بناء المنارة من طين المستنقع الذي يحيط بالجامع. ولهذا فقد كان الجزء الأكبر من أموال التبرعات التي يقدمها مهابيل القرية لبناء الجامع تذهب بهدوء وسلاسة إلى جيب إمام الجامع بدلاً من تبذيرها في مواد تضر ولا تنفع كما يقول!

وحسب معلومات القطة المرقطة فإنَّ إمام الجامع قد بنى بيتين خلال السنتين الأخيرتين من أموال التبرعات. وقد حدث هذا بدعم وصمت المختار الذي شمله إمام الجامع ببعض الخيرات!

[4]

ظلت القطة المرقطة تراقب القرية من أعلى نقطة في القرية بانتظار الكارثة.

وخلافاً لجميع سكان القرية من الناس والحمير والماعز والقطط والكلاب، فإنها كانت تسخر من عقولهم، التي تصفها **بالفاسدة كبيض دجاج القرية** من شدة ارتفاع درجة الحرارة. إذ أنَّ ولعهم بانتظار قرب ظهور **صاحب الزمان** وخروج **الأعور الدجال** لا يثير فيها غير مشاعر القرف والاستهزاء في آن واحد.

فالأعور الدجال هو في الجامع أمامهم كل يوم: يؤم صلاتهم ويسرق تبرعاتهم أمام عيونهم.

أما الشعور باقتراب الكارثة من قبل سكان القرية فهو الشعور الوحيد الذي تأخذه القطة مأخذ الجد. وهي تعرف من تجربتها الغنية بأنَّ كوارث القرية لا علاقة لها بـ"صاحب الزمان" وهي تعرف جيداً بأنَّ الزمان لا "صاحب" له غير الخرفان والماعز التي ترعى حول القرية من غير أن تكترث لا بالزمان ولا المكان. إذ يجدها الناس ترعى في كل زمان وفي كل مكان حتى في غرف نومهم وفي سقائف مطابخهم.

[5]

الكارثة التي تنتظرها القطة المرقطة لـ Donkey village هو أنْ تبتلعها الأرض كما ابتلعت سكان القرية المجاورة ولم يعرف أحد مصيرهم. ولأنَّ للكوارث دائماً بدايات تمهد لها فإنَّ إطلاق سراح الحمار وكأنَّ شيئاً لم يكن هو إنذار بأن الكارثة قادمة.

وفي هذه اللحظة بالذات من تأملات القطة سمعت عدة إطلاقات مكتومة.

وعندما صعدت القطة على سياج المأذنة العالي لم تر شيئاً غير مشهد الحمار وهو يجرجر قائمتيه الخلفيتين بصعوبة ثم سقط على الأرض من غير حراك.

[6]

النهاية المحتومة:

بعد يومين فقط من إطلاق سراحه عثر أهل القرية الذاهبون إلى أعمالهم على جثة الحمار ملقاة في وسط الساحة المركزية للقرية!

أول من عثر عليه كانت القطة المرقطة التي كانت شاهدة على مصرعه.

كان يبدو وكأنه نائم.

لا تبدو على وجهه آثار ألم أو أسى — بل يبدو وكأن ابتسامة سخرية تتسلل من فمه المغلق.

وعندما نزلت القطة المرقطة من المنارة، التي تهاوت حالما نزلت منها، اقتربت من جثة الحمار ولاحظت بوضوح ثمة حفر في صدغه والدم لا يزال يسيل حتى شكل بركة حمراء تحت مطيع الغائب.

لقد أصبح واضحاً بالنسبة لها بأنَّ نهاية الحمار هي نهاية الجميع.

فالذي حدث مع مطيع لم يكن غير استهتار القرية بوجوده وتحميل آراءه أكثر مما تحتمل.

ولأول مرة شعرت القطة بالأسى وأنها تعيش في عالم لامعقول.

- هل يستحق الأمر كل هذا؟

تساءلت القطة بغضب شديد، لكنها لم تكن قادرة على أن تفعل أكثر من هذا. فتركت المكان وهي تسير على غير عادتها ببطء وتثاقل.

بعد هذا اليوم لم ير أحد من أهل القرية القطة المرقطة قطُّ.

أما هي فلم تسمع بعد ذلك اليوم بوجود القرية أيضاً!

[7]

لم يثر غياب القطة المرقطة اهتمام أحد. فكلُّ واحد من أهل القرية الآيلة إلى الانقراض كمنارة الجامع [الحمير والبشر والماعز والخرفان والكلاب والقطط] حائر بمصيره الكارثي الذي على قاب قوسين أو أدنى.

كانت لقضية مطيع الغائب نتائج خطيرة لم يكن يتوقع حدوثها أحد — بل وآخر ما كان يمكن أن يتوقعها هو نفسه.

هنا يكشف "تأثير الفراشة" لنظرية الفوضى عن كامل صورته ومعانيه.

فهذا "الحدث الصغير" الذي اعتادت الصحافة المحلية والعربية والعالمية باعتباره "**قضية مطيع الغائب**" قد أدى إلى أحْداثٍ وتحولات عاصفة في حياة البلاد.

لقد تحولت "قضية مطيع الغائب" إلى "إعصار مطيع الغائب".

والمدهش في الأمر هو أنَّ هذا "الإعصار" وربما لأول مرة في تاريخ الأعاصير الفتاكة يحمل اسماً مذكراً مخالفاً للمنطق الفقهي الإسلامي الذي يعتبر النساء مصدر المصائب!

إنه "**إعصار مطيع**"!

[8]

فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار إحالة وزير الداخلية على التقاعد ومصادرة سياراته العشر والدراجة الهوائية العائدة لحفيده الصغير؛ وطرد الناطق الرسمي باسم هيئة الإفتاء الوطنية [أو القومية] من الخدمة والبلاد في آن واحد؛ وتجميد عمل "وزارة الأوقاف" إلى إشعار آخر واستحداث وكالة جديدة تحت "مطاردة أصحاب الرأي"؛ وغلق دار سينما الوطن لأنها عرضت قبل فلم "طرزان" الأخبار المحلية التي أشارت إلى "قضية مطيع الغائب"؛ وغلق مطعم "الأفراح" لأنه ابتكر سندويشاً جديداً تحت اسم "سندويش مطيع"؛ وغلق جميع الطرق الدولية والفرعية والتجارية المؤدية إلى "Donkey village" وإزالة مادة الأسفلت منها نهائياً؛ وإقالة أمين

الشحات الأعور كإمام لجامع القرية وتعينه سفيراً للبلاد في الفاتيكان؛ وإلقاء القبض على جميع القطط في القرية واستجوابها حول المقر السري للقطة المرقطة ..

فإنَّ "إعصار مطيع" قد أدى إلى نتائج اقل ما يقال عنها بأنها كارثية على "Donkey village"!

[9]

إنَّ ما حدث في Donkey village قد خرج عن طاقة الجميع لا على تحمل المفاجأة بأنَّ يقوم حمار قروي بالتمرد على الإرادة الإلهية فقط بل وقد أثبت أنَّ عالمهم يتهاوى من الداخل من غير تدخل الاستعمار والامبريالية والصهيونية.

لقد كان الحمار مطيع الغائب واحداً منهم؛ ولم يكن غير أضعف الحلقات ومع ذلك فقد تمرد عليهم وعرضهم كما تفعل أجهزة العرض السينمائي أمام الجميع في وضح النهار وأجبرهم على ارتكاب أكبر الحماقات ووضع في قلب الفضيحة:

اغتيال حمار بحجة الاعتراض على الإرادة الإلهية!

[10]

وهكذا فقد كان على الحكومة أنْ تقوم بما قامت به بصد القرى الأخرى:

مسح Donkey village عن وجه الأرض وإلغاء واجتثاث أية آثار لها. إذ لم تكن أوامر الدولة ترحيل سكانها وتدميرها وإنما تدمير القرية بسكانها ومنع أي كائن حي من الخروج منها.

ولم ينجُ من المذبحة غير اثنين:

أنا والقطة المرقطة!



[خاتمة]



[وأخيراً تحرر!]

[1]

لم تطورْ عقيدة دينية مشاعر الكراهية والاحتقار والرفض إزاء الحيوانات مثلما حدث في العقائد الدينية الإسلامية [السنية والشيعية].

لقد اخترع الكهنوت الإسلامي أسباباً ومبررات خرافية، لا قيمة منطقية لها ولا معنى عقلاني يسندها، تضع الكثير من الحيوانات في وضع الشبهات ووصفها بأسخف الأوصاف وإلصاق أتفه التهم بها وتجريمها من حيث المبدأ والنوع والخلقة!

[2]

فهم إذ لم يكتفوا باعتبار الكثير من الحيوانات مسوخاً [كالأرانب والقرود والعقارب وغيرها] لرجال ونساء أخطأوا بحق رب العلمين المدلل ورفضوا تعاليمه وأوامره، فقد ربطوا بصورة غريبة عجيبة ومتهافتة ما بين خرافة "الشيطان" والحمار مثلاً، أو ما بين الديك والملائكة.

بلْ هُمْ لم يكتفوا بذلك قطُّ.

لقد اخترعوا أحكاماً مجنونة للحط من قدر هذا الحيوان أو ذاك من غير أيِّ نوع من المسوغات العقلانية أو الطبيعية.

إنهم باختصار احتقروا ما لا يعرفونه وحطوا من قدر حيوانات وميزوا بينها وفضلوا بعضها على البعض الآخر لتبريرات واهية لا تستند إلا لأقوال سخيفة من قبل نبيهم أو مخرفيهم القدامى والمعاصرين [زمنياً وليس حضارياً].

[3]

والحمار واحد من ضحايا العقيدة الإسلامية التي تستند إلى كراهية غيبية وفي أغلب الغالب من الأحيان تصورات غبية للناس والحيوانات والأشياء.

فالقوم الذين يعتقد أفراده بأنَّ "الله" قد خلق القطة [أو السنور والسنورة] من عطسة الأسد حتى تقضي على الفويسقة [الفأرة] وأن الخنزير من مؤخرة الفيل لا يمكن الثقة في صحة عقولهم ومصداقية تصوراتهم عن الحيوانات.

وبالتالي فإن "**قضية مطيع الغائب**" هي من حيث الجوهر قضية السخف العقائدي للكهنوت الإسلامي الذي حوَّل العالم [الناس والحيوانات والمدن] إلى معسكرين: معسكر المسلمين [دار الإسلام] ومعسكر الأعداء [دار الحرب].

ففرقوا ما بين الحيوانات واصطنعوا لها معسكرين:

معسكر الإيمان والنظافة والتقوى والمبشرين بالجنة وقد تزعمته القطة والبعير والحصان؛

ومعسكر الكفر والدنس والشيطان وقد تزعمه الكلب [وخصوصاً **الكلب الأسود!**] والقرد والخنزير.

بل جعلوا للرجال معسكراً وللنساء[21] معسكراً آخر!

---

[21] **الكل يعرف بأن لا وجود للنساء في الجنة!**

مثلما فرقوا ما بين البشر وفضلوا أنفسهم على الآخرين، فإنهم قد فضلوا حيوانات على أخرى لا لسبب إلا لأنَّ محمداً قد أدلى بخرافات وتصورات ساذجة وسطحية وخالية من العقل والحكمة عبر عن تفضيله لهذا الحيوان وكراهيته للآخر.

[4]

غير أنَّ **لمطيع الغائب** وجهة نظر أخرى:

هل حقاً أنَّ صوته أنكر الأصوات؟

وهل كان أذان المؤذنين أكثر قبولاً للآذان من صوته؟

هو يعرف معرفة حقة بأن الإجابة على هذه الاعتراضات هي **قضية إيمانية** محضة ولا علاقة لها الوقائع. فهناك الملايين من الناس ممن لا يطيق صوت الأذان. بل أنَّ قباحة أصوات الكثير من المؤذنين هي قبيحة حتى بالنسبة لمسلمين. ولا فرق ما بين صوتهم وصوت **مطيع الغائب** إلا لأنه لا يمكن أن يكون مؤذناً فقهياً. ولو كان نبيهم قد قال بأنَّ صوت الحمير أعذب الأصوات [وهذا أمر كان ممكناً بسبب اعتباطية آراءه] لرأينا المسلمين الآن يمجدون الحمار والحمير!

[5]

لقد اغتالت العقيدة الإسلامية كل شيء تواتر الكذب بصدده. وليس **مطيع الغائب** إلا مثالاً نموذجياً لضحية الكذب المتواتر.

إنه ضحية لنصوص لا أحد يعرف مصدرها وقائلها.

فهم مثلاً منحوا "يعفور" مكانة مقدسة وتاريخاً مأساوياً ومعرفة باللغات لأنَّ ثمة "حدوتة" تقول إنه حمار محمد!

غير أنهم نسوا كالمصاب بالآلزهايمر صوته المنكر الذي لا يجلب نهيقه غير الشياطين ولم يكن قائل هذه الكلام غير راكب "يعفور" نفسه وهو مصدر الخرافات نفسها!

فمحمد الذي يعتقد أنَّ الحمار لا ينهق إلا لأنه قد رأى شيطاناً كان، كما يبدو، يتلذذ بوجود الشياطين حوله وإلا ما ركب حماراً!

[6]

غير أنَّ نفاق المسلمين لا يتوقف عند هذا الحد.

فإذ يفتخر المسلمون بخرافة أن محمداً أول من "طار في الهواء" و"صعد في الفضاء" حتى وصل "السماء الدنيا" فقد كان عليهم أيضاً الافتخار بـ"الطائر" الذي قَلَّ [حَمَلَ] محمداً والذي لم يكن غير بغل سموه "البراق" وهو "دون البغل وفوق الحمار" كما يمخرقون أيْ:

حمار!

فهذه "الدابة" المولاتو[22] [الخلاسية] طارت أم حطت، نهقت أم صهلت، فإنها تحمل الحمض النووي الريبوزي منقوص الأوكسجين - وباختصار الـ DNA الذي يحمل كامل الخصائص الوراثية لـ"يعفور"!

ويعفور يا قارئي **حمار** وابن **حمار** إلى يوم الدين!

[ملاحظة سريعة ليست علمية جداً:

"**البراق**" نصف **حمار** ونصف **بغل** ولأن **البغل** نصف **حمار** فهذا يعني أن "البراق" **حمار** بن **حمار**!]

[7]

هذه هي القصة وما فيها:

الوجه الآخر لخرافات الإسلام والمسلمين العلنيين والمستترين ...

[**النهاية**]



[22] **وهذا هو المصدر اللاتيني لكلمة بغل mule كنوع هجين من الحصان والحمار في عدد من اللغات الهندو أوربية.**